

فتاوى برامج الذكاء الاصطناعي
وأثرها على تصوير المسائل واستيفائها في العملية الإفتائية
(دراسة تحليلية على بعض الفتاوى التطبيقية

إعداد

الأستاذ الدكتور/ محمد محسن فريد
أستاذ علوم المعلومات والذكاء الاصطناعي بجامعة داربي

الدكتور/ مصطفى حسن أحمد الأقفهصي
أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية

ورقة بحثية

مقدمة للمؤتمر الدولي العاشر للإفتاء
الذي تقيمه الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم
"بعنوان: "صناعة المفتي الرشيد في عصر الذكاء الاصطناعي
(٢٠٢٥م)

مقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،
وبعد..

ففي ظل التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية في شتى المجالات العلمية، والتي أسفرت عن التطورات التقنية، والتحويلات التكنولوجية والرقمية، إلى أن وصلت إلى ما يعرف بالأنماط الاصطناعية (Artificial intelligence) أو الذكاء الاصطناعي، ينبغي الإشارة إلى أنه لا بُدَّ من استخدام نتائج هذه التطورات وما وصلت إليه لتدعيم السلم والأمن على كافة المستويات، وتحفيز البناء الحضاري والإينماء الاقتصادي والاجتماعي للشعوب والمجتمعات، فيستفيد العالم كله من حسنات العلم الحديث والتقدم التكنولوجي والرقمي، ويأمن من الآثار الضارة التي يمكن أن تترتب على سوء استخدامها أو تطبيقها على وقائع غير ملائمة.

وكان مما توصلت إليه علوم الذكاء الاصطناعي: أن أنتجت روبوتات في مجالات متعددة، منها مجال الوعظ والإفتاء، فأصبح هناك الروبوت المفتي، ويقدم استشارات شرعية، وإجابات عن أسئلة المستفتين، كما في "روبوت الفتوى الإلكتروني"، لتقديم خدمة الفتاوى الشرعية والاستشارات الدينية لحجاج بيت الله الحرام، وكذلك خدمة أسأل المفتي (الاتصال المرئي) عبر الروبوت، التي أطلقتها بعض دور الإفتاء.. إلى غير ذلك.

فأصبح هذا واقعاً معيشاً، تتجه إليه شرائح كبرى من الناس، ولخطورة هذا الأمر على عملية الفتوى والتي نصَّ العلماء على أن لها سياقاً خاصاً لا بدَّ من الحفاظ عليه، فهي ليست مجرد معلومات دينية، أو ثقافة شرعية، يمكن أن يقدمها من ألمَّ بها، بل هي عملية تفاعلية تتم بين المفتي والمستفتي، يستطيع من خلالها المفتي -بما لديه من أدوات ومؤهلات- أن يتصور السؤال تصويراً صحيحاً، وأن يقف على حال المستفتي وما يمكن أن يناسبه من الأقوال الشرعية، ومن ثم يتسنى له الحكم على فتواه.

ومن هنا، استطاع العلماء أن يفرقوا بين ما هو حكم فقهي مسطور في كتب الأئمة، وبين صناعة

الفتوى التي تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، وتحقق مقصود الشريعة، وتراعي مصالح الخلق، وفقاً للأعراف والبيئات.

فتأتي هذه الدراسة المتخصصة لتؤكد على كل هذه المعاني، وهي عبارة عن تحليل فني لعددٍ من النماذج الإفتائية - وقد اخترنا منها ثلاثة نماذج متنوعة ومتدرجة من باب الطهارة - كانت إجابة على أسئلة أدخلناها هذه البرامج الرقمية بغرض التعرف على مدى صلاحيتها في القيام بالعملية الإفتائية:

- هل يمكنها أن تتصور المسألة تصويراً صحيحاً؟
- وما حدود استيعابها لطلب المستفتي وحاجته؟
- وهل يمكنها ملاحظة حال المستفتي وواقعه المحيط به؟
- هل لها القدرة على التخير من الآراء بما يناسب حال المستفتي؟
- هل عندها من الآليات ما يستطيع أن يوجد حلولاً للمستفتين ويوجههم؟
- هل تستطيع أن تعوض الحالة التفاعلية المتبادلة التي توجد بين المفتي والمستفتي؟
- هل يمكنها التعامل مع المسائل الخاصة التي تحتاج إلى تحقيق ممتدٍّ كالطلاق والرضاع؟

وقد قسمنا البحث فيها إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

- المقدمة: اشتملت على أهمية البحث وخطة الدراسة.
- المبحث الأول: الذكاء الاصطناعي وحلقات التعاون مع الإنسان وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تاريخ الذكاء الاصطناعي وتطوره.
 - التاريخ المبكر للذكاء الاصطناعي.
 - تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي.
 - التحديات وشتاء الذكاء الاصطناعي.
- المطلب الثاني: حلقات التعاون بين الإنسان وبين الذكاء الاصطناعي.

- نقاط القوة التكميلية بينهما.
- مستقبل التعاون البشري الآلي.
- تأثير الذكاء الاصطناعي على المجتمع.
- المبحث الثاني: تصوير الفتوى وأثرها على العملية الإفتائية.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اشتراك المفتي والمستفتي في تصوير المسألة.

- استفسالات المفتي ووقوفه على الملابسات.
- الاستعانة بالمتخصصين في اكمال التصوير.
- الوقوف على أطراف المسألة عند حصول نزاع.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في تغيير الفتوى.

- تغيير الفتوى بتغير الجهات الأربع.
- تغيير الفتوى بناء على المصلحة.
- تغيير الفتوى بناء على مآلاتها.
- المبحث الثالث: فتاوى الروبوتات: إيجابياتها وسلبياتها.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تطبيقات عملية لبعض فتاوى الروبوتات.

- فتوى الروبوت عن كيفية إزالة النجاسات.
- فتوى الروبوت عن الاستنجاء بالمناديل الورقية.
- فتوى الروبوت عن نزول قطرات بول بعد الوضوء.

المطلب الثاني: إيجابية الروبوتات في الفتاوى وسلبياتها.

- الجوانب الإيجابية في فتاوى الروبوتات.

- الجوانب السلبية في فتاوى الروبوتات.

• والخاتمة: وقد ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

ونسأل الله تعالى أن نكون قد قدمنا شيئاً نافعاً في المحافظة على المناهج الإفتائية، وصنعتها التخصصية، ومنظومتها: القيمة التربوية، والله الموفق والمعين، والهادي إلى الصراط المستقيم.

المبحث الأول: الذكاء الاصطناعي وحلقات التعاون مع الإنسان

يُعرّف الذكاء الاصطناعي بأنه محاكاة عمليات الذكاء البشري بواسطة الآلات، وقد تم تأسيسه رسمياً كمجال علمي خلال مؤتمر دارتموث (Dartmouth College) في عام ١٩٥٦م، حيث قدم رواد مثل جون مكارثي (John McCarthy) وآلان تورينغ (Alan Turing) مفاهيم أساسية. تاريخ الذكاء الاصطناعي والتعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي

مقدمة:

يغطي تاريخ الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence - AI) والتعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي تطوراً معقداً بدأ من بداياته النظرية في منتصف القرن العشرين حتى دوره الحالي في مختلف قطاعات المجتمع. يُعرّف الذكاء الاصطناعي بأنه محاكاة عمليات الذكاء البشري بواسطة الآلات، وقد تم تأسيسه رسمياً كمجال علمي خلال مؤتمر دارتموث (Dartmouth College) في عام ١٩٥٦، حيث قدم رواد مثل جون مكارثي (John McCarthy) وآلان تورينغ (Alan Turing) مفاهيم أساسية. من بين التطورات المبكرة المهمة اختبار تورينغ وإنشاء أول شبكة عصبية صناعية، ما مهد الطريق لاحقاً لتطورات في تعلم الآلة والروبوتات^{٢١}.

مع تطور هذا المجال على مر العقود، برزت محطات بارزة تعكس التقدم والإخفاقات. شهدت الستينيات ظهور تطبيقات عملية للذكاء الاصطناعي، مثل أول روبوت صناعي وإنشاء برنامج "إليزا" (ELIZA)، وهو من أوائل برامج الدردشة الآلية. ومع ذلك شهدت السبعينيات أول "شتاء للذكاء الاصطناعي"، وهي فترة اتسمت بتقليص التمويل وتزايد الشكوك بسبب التوقعات غير

¹ <https://www.linkedin.com/pulse/key-milestones-history-ai-19502024-md-morsaline-mredha-4oj8c>

² <https://online.maryville.edu/blog/history-of-ai/>

³ <https://www.coursera.org/articles/history-of-ai>

المحققة. وقد استمر هذا النمط من الحماس وخيبة الأمل، مما أدى إلى نهضة جديدة في العقد الأول من الألفية الثالثة مع صعود التعلم العميق وتوفر قدرات حوسبة قوية غيرت بشكل جذري تقنيات الذكاء الاصطناعي^٤.

أصبحت فكرة التعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي تحتل مكانة متزايدة في النقاشات المعاصرة، مع التركيز على العلاقة التكميلية بين الذكاء البشري ونقاط قوة الذكاء الاصطناعي. يهدف هذا التعاون إلى الجمع بين أفضل ما في العالمين، فأنظمة الذكاء الاصطناعي تتفوق في معالجة البيانات والتعرف على الأنماط، في حين يتميز الإنسان بالإبداع والحكم الأخلاقي. وقد بدأت قطاعات مثل الرعاية الصحية وخدمة العملاء والتمويل بجني فوائد هذا التعاون، حيث يدعم الذكاء الاصطناعي المتخصصين في تحسين اتخاذ القرارات والنتائج^٥.

ومع ذلك فإن هذا التطور يطرح أيضًا تحديات، من بينها قضايا أخلاقية تتعلق بالخصوصية والشفافية وفقدان الوظائف، ما يتطلب حوارًا مستمرًا بين الأطراف المعنية لضمان إدماج مسؤول للذكاء الاصطناعي في المجتمع.

⁴ <https://www.techtarget.com/searchenterpriseai/tip/The-history-of-artificial-intelligence-Complete-AI-timeline>

⁵ <https://www.deloitte.com/mt/en/services/consulting/perspectives/mt-age-of-ai-1-a-brief-history.html>

⁶ <https://www.officetimeline.com/blog/artificial-intelligence-ai-and-chatgpt-history-and-timelines>

⁷ <https://www.electropages.com/blog/2025/03/history-ai-key-milestones-impact-technology>

⁸ <https://em360tech.com/top-10/leaders-in-ai>

⁹ <https://siliconvalley.center/blog/ethical-implications-of-ai>

وباختصار يعكس تاريخ الذكاء الاصطناعي والتعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي تفاعلاً ديناميكياً بين التقدم التكنولوجي والتأثير المجتمعي، مما يبرز أهمية فهم كل من الفرص والتحديات المرتبطة بهذه التطورات بينما نمضي نحو مستقبل يعتمد بشكل أكبر على الذكاء الاصطناعي¹⁰.

التاريخ المبكر للذكاء الاصطناعي:

يغطي التاريخ المبكر للذكاء الاصطناعي (AI) عدة عقود محورية وضعت الأساس لتطوير الآلات الذكية. وتميزت هذه الفترة بتطورات نظرية هامة ومشاريع بارزة شكلت ملامح هذا المجال.

الخمسينيات: تأسيس الذكاء الاصطناعي.

ظهر الإطار المفاهيمي للذكاء الاصطناعي في الخمسينيات، بفضل الأعمال الرائدة لعدد من الشخصيات الأساسية. ففي عام ١٩٥٠ نشر آلان تورينج مقالته الشهيرة بعنوان "آلات الحوسبة والذكاء"، حيث قدم اختبار تورينج (Turing Test)، وهو طريقة لتقييم قدرة الآلة على إظهار سلوك ذكي لا يمكن تمييزه عن السلوك البشري. ويعتبر مؤتمر دارتموث عام ١٩٥٦ نقطة الانطلاق الرسمية لمجال الذكاء الاصطناعي كمجال دراسي مستقل، حيث صاغ جون مكارثي وزملاؤه، بمن فيهم مارفن مينسكي (Marvin Minsky) وكلود شانون (Claude Shannon)، مصطلح "الذكاء الاصطناعي". وقد أدى هذا المؤتمر إلى طفرة في الاهتمام والبحث في هذا المجال، ما أسهم في تطوير تقنيات وأساليب أساسية.

¹⁰ <https://ourworldindata.org/brief-history-of-ai>

¹¹ <https://www.aalpha.net/blog/human-ai-collaboration-augmenting-capabilities-with-agentic-platforms/>

¹² <https://inclusioncloud.com/insights/blog/ai-human-collaboration/>

شهد هذا العقد إطلاق العديد من المشاريع الرائدة. ففي عام ١٩٥١ طور مارفن مينسكي ودين إدموندز (Dean Edmonds) أول شبكة عصبية صناعية (Artificial Neural Network) تعرف باسم SNARC، باستخدام ٣٠٠٠٠ صمام مفرغ لمحاكاة شبكة مكونة من ٤٠ خلية عصبية. وفي العام التالي أنشأ آرثر صموئيل برنامجًا للعب الداما، والذي أصبح أول برنامج يتعلم ذاتيًا لعب الألعاب. كما اخترع جون مكارثي لغة البرمجة LISP عام ١٩٥٨، والتي أصبحت أداة رئيسية في أبحاث الذكاء الاصطناعي وتطويره.

الستينيات: برامج الذكاء الاصطناعي المبكرة.

شهدت الستينيات ظهور تطبيقات عملية للذكاء الاصطناعي. ففي عام ١٩٦١ استخدمت شركة IBM روبوت Unimate، أول روبوت صناعي، في مصنع جنرال موتورز (General Motors)، مما شكل نقطة تحول في مجال الأتمتة (Joseph Weizenbaum). وفي عام ١٩٦٦ طور جوزيف فيزيباوم برنامج ELIZA، أول روبوت محاثة يحاكي معالجًا نفسيًا، ما أبرز إمكانية تفاعل الآلات بطريقة تشبه البشر. وفي عام ١٩٦٩ ظهر الروبوت Shakey، والذي يعد أول روبوت متحرك متعدد الاستخدامات، قادر على التنقل وأداء المهام بشكل مستقل.

السبعينيات: التحديات وشتاء الذكاء الاصطناعي.

رغم الحماس المبكر، شهدت السبعينيات تحديات كبيرة لمجتمع الذكاء الاصطناعي. ففي عام ١٩٧٢ تم تطوير لغة البرمجة المنطقية Prolog لاستخدامها في تطبيقات الذكاء الاصطناعي. ومع ذلك بدأت "شتاء الذكاء الاصطناعي" الأول في منتصف السبعينيات، وهي فترة اتسمت بانخفاض التمويل وتراجع الاهتمام نتيجة التوقعات غير المحققة بشأن قدرات الذكاء الاصطناعي. وأصبحت محدودية الأنظمة المبكرة واضحة، مما أدى إلى تزايد الشكوك حول جدواها العملية.

تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي:

شهد الذكاء الاصطناعي تطورًا كبيرًا منذ نشأته، تميز بعدة اختراقات علمية وتحولات جوهرية غيرت قدراته وتطبيقاته.

صعود الذكاء الاصطناعي الرمزي والأنظمة الخبيرة:

في السبعينيات والثمانينيات ركزت أبحاث الذكاء الاصطناعي على الأساليب الرمزية، التي تعتمد على القواعد المنطقية المكتوبة يدويًا. وظهرت الأنظمة الخبيرة كتطبيق رئيسي لهذه المقاربة، بهدف محاكاة اتخاذ القرار البشري في مجالات متخصصة مثل الطب والمالية. ومن الأمثلة البارزة تطوير نظام Dendral في الكيمياء العضوية، وتوسيع قدرات معالجة اللغة الطبيعية من خلال برامج مثل .STUDENT.

التحديات وشتاء الذكاء الاصطناعي:

رغم التفاؤل المبكر واجهت أبحاث الذكاء الاصطناعي تحديات كبيرة، أدت إلى فترات من انخفاض التمويل والاهتمام، عُرفت باسم "شتاء الذكاء الاصطناعي". حدثت هذه الانتكاسات عندما اتضح محدودية الذكاء الاصطناعي الرمزي وعدم تحقيقه للتوقعات المرتفعة.

النهضة بفضل الشبكات العصبية والتعلم العميق:

أدى إدخال وحدات معالجة الرسومات (GPUs) في العقد الأول من الألفية الثالثة إلى تسريع أبحاث الذكاء الاصطناعي بشكل كبير، مما أتاح تدريب الشبكات العصبية العميقة بكفاءة. وتميزت هذه النهضة باختراقات في التعلم العميق، خاصة خلال العقد الثاني من الألفية. وكان لمسابقة ImageNet عام ٢٠١٢ دور حاسم في دفع تقدم رؤية الحاسوب، من خلال إظهار قدرات الشبكات العصبية

الالتفافية. ومنذ ذلك الحين، مكن التطور السريع لنماذج التعلم العميق الذكاء الاصطناعي من تحقيق أداء غير مسبوق في مجالات مثل التعرف على الصور وفهم اللغة الطبيعية.

المشهد الحالي وآفاق المستقبل:

اليوم أصبحت تقنيات الذكاء الاصطناعي مدمجة بعمق في مختلف القطاعات، مما أدى إلى ابتكارات في الرعاية الصحية والمركبات ذاتية القيادة وتحليلات الأعمال. وتستثمر شركات التكنولوجيا الكبرى مثل مايكروسوفت وجوجل بشكل كبير في تطوير الذكاء الاصطناعي، مع توقعات تشير إلى أن هذه التقنيات ستنتشر في جميع جوانب الحياة اليومية بحلول عام ٢٠٢٥. ومع استمرار التقدم تظهر فرص كبيرة للابتكار، إلى جانب اعتبارات أخلاقية تتطلب فهماً عميقاً للطبيعة المزدوجة لهذه التقنية وتأثيراتها المحتملة على المجتمع.

التعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي:

يشير التعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي إلى العلاقة التعاونية بين الأنظمة الذكية والذكاء البشري، بهدف استغلال نقاط القوة الفريدة لدى كل طرف لتحقيق نتائج أفضل. ويؤكد هذا التعاون على التكامل، حيث يعزز الذكاء الاصطناعي قدرات الإنسان من خلال معالجة كميات ضخمة من البيانات والتعرف على الأنماط، بينما يضيف الإنسان الإبداع والاعتبارات الأخلاقية والفهم السياقي في عملية اتخاذ القرار^{١٣}.

أهمية التعاون:

¹³ <https://clanx.ai/glossary/human-ai-colaboration>

¹⁴ <https://www.ijraset.com/research-paper/human-ai-collaboration-in-healthcare>

تتبع أهمية التعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي من قدرته على دمج نقاط القوة لدى الطرفين، مما يؤدي إلى تحسين حل المشكلات وتقليل معدل الخطأ. فعلى سبيل المثال: في مجال الرعاية الصحية، يمكن للذكاء الاصطناعي تحليل بيانات الصور الطبية لاكتشاف الشذوذ، لكن خبرة الطبيب ضرورية للتشخيص واتخاذ القرارات العلاجية. وينتج عن هذا النهج التعاوني نتائج أكثر موثوقية مقارنة بالأنظمة المؤتمتة بالكامل.

الخصائص الرئيسية:

نقاط القوة التكميلية:

يتسم التعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي بالدمج بين القدرات المختلفة:

- نقاط قوة الذكاء الاصطناعي: يتميز بسرعة المعالجة، والثبات، والقدرة على التعامل مع كميات هائلة من البيانات وتنفيذ المهام المتكررة بكفاءة.
- نقاط قوة الإنسان: يقدم الإبداع، والذكاء العاطفي، والتفكير الأخلاقي، والتخطيط الإستراتيجي، مما يثري عملية التعاون.

اتخاذ القرار التفاعلي:

يتضمن التعاون الفعال بين الإنسان والذكاء الاصطناعي عملية اتخاذ قرار تفاعلية، حيث تصمم أدوات الذكاء الاصطناعي لتكون مفهومة وسهلة الاستخدام من قبل المستخدمين غير التقنيين. ويساعد ذلك

على إشراك البشر بفعالية في الإشراف على هذه الأنظمة، مما يتيح أسلوبًا أكثر توازنًا ووعيًا في اتخاذ القرارات.¹⁵

التحديات والاعتبارات:

رغم المزايا العديدة للتعاون بين البشر والذكاء الاصطناعي، إلا أن هناك تحديات هامة يجب التعامل معها، مثل ضمان الشفافية، والاعتبارات الأخلاقية، وحماية خصوصية المستخدمين. ويظل تحقيق توازن في العلاقة بين البشر والذكاء الاصطناعي مجالًا مهمًا للبحث والنقاش المستمر.

تأثير الذكاء الاصطناعي على المجتمع:

إن الاندماج السريع للذكاء الاصطناعي في مختلف القطاعات قد غير بشكل كبير أسواق العمل، وأنماط التفاعل الاجتماعي، والمعايير المجتمعية، مما يثير تساؤلات أخلاقية حرجة وتحديات يجب معالجتها. ونظرًا لتزايد استقلالية وذكاء هذه الأنظمة، فقد ظهرت أسئلة جوهرية حول تصميمها وتنفيذها بما يتماشى مع كرامة الإنسان وحقوقه، خصوصًا في مجالات مثل الرعاية الصحية، والعدالة الجنائية، والتوظيف.¹⁶

الآثار الاقتصادية:

من أبرز المخاوف المتعلقة بالذكاء الاصطناعي هو احتمال حدوث بطالة تقنية واسعة النطاق. فمع تقدم الذكاء الاصطناعي والأتمتة، هناك خطر من استبدال أعداد كبيرة من العمال، بمن فيهم المهنيون

¹⁵ <https://www.hartu-project.eu/2025/02/03/the-future-of-human-ai-teaming-collaboration/>

¹⁶ <https://www.mindstick.com/blog/302258/human-ai-collaboration-case-study>

¹⁷ <https://medium.com/@kumarakaushik/tracing-the-evolution-of-ai-ethics-through-time-b7464d7dcd55>

المهرة مثل الأطباء والمحامين والمستشارين الماليين. ورغم أن بعض الآراء تشير إلى أن التقدم التكنولوجي لا يؤدي تاريخياً إلى فقدان دائم للوظائف، إلا أن سرعة تقدم الذكاء الاصطناعي الحالية تثير مخاوف من مستويات غير مسبوقة من البطالة والاضطرابات الاجتماعية، إذا لم يتم دمج الذكاء الاصطناعي بطرق تكمل قدرات الإنسان بدلاً من أن تحل محله. كما أن توفر أنظمة مستقلة مدعومة بالذكاء الاصطناعي قد يزيد من التفاوتات الاجتماعية، خاصة إذا تم تطويرها بناءً على بيانات متحيزة، مما يؤدي إلى تعزيز التحيزات القائمة¹⁸.

الاعتبارات الأخلاقية:

تنوع التداعيات الأخلاقية لتأثير الذكاء الاصطناعي على المجتمع، فمع انتشار أنظمة الذكاء الاصطناعي في عمليات اتخاذ القرار، تزداد أهمية قضايا الخصوصية، والأمن¹⁹ والعدالة. كما أن إدخال التحيزات -سواء كانت بشرية أو آلية- في سياقات اتخاذ القرار الحساسة يشكل خطورة كبيرة. ورغم وجود جهود للحد من التحيز الآلي إلا أن تعقيدات هذه القضية لا تزال قائمة، بما في ذلك النقاشات حول ما إذا كان ينبغي القضاء على التحيز البشري كلياً أم تقبل مزيج من التحيزات البشرية والآلية في الأطر القانونية والمجتمعية²¹.

الديناميكيات الاجتماعية:

يعيد الذكاء الاصطناعي تشكيل أنماط التفاعل الاجتماعي والمعايير المجتمعية، مما يدفع إلى إعادة تقييم دوره في المجتمع. فقد تطور السؤال من "هل يمكن بناء الذكاء الاصطناعي؟" إلى "هل ينبغي

¹⁸ <https://redresscompliance.com/the-evolution-of-ai-tracing-its-roots-and-milestones/>

¹⁹ <https://www.b12.io/resource-center/ai-thought-leadership/what-are-the-ethical-implications-of-advancements-in-ai.html>

²⁰ <https://www.pewresearch.org/internet/2018/12/10/improvements-ahead-how-humans-and-ai-might-evolve-together-in-the-next-decade/>

²¹ <https://iep.utm.edu/ethics-of-artificial-intelligence/>

بناؤه"؟ مع التركيز على الآثار الأخلاقية لهذه التقنيات بالنسبة للقيم والاحتياجات الإنسانية. ومع دخول الذكاء الاصطناعي إلى الحياة اليومية، يتغير مشهد العلاقات الاجتماعية، مما يثير نقاشات حول المسؤولية الأخلاقية للمطورين والمعنيين لضمان توزيع فوائد الذكاء الاصطناعي بشكل عادل عبر المجتمع^{١٨}.

الاتجاهات المستقبلية:

في المستقبل ستطلب البيئة الأخلاقية للذكاء الاصطناعي جهودًا تعاونية بين الحكومات، والشركات، والباحثين، والجمهور لتطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي وتنفيذها بطريقة مسؤولة وأخلاقية. وسيكون ضمان استخدام الذكاء الاصطناعي بما يعزز العدالة والمساواة أمرًا بالغ الأهمية لتقليل الأضرار المحتملة لاعتماده على نطاق واسع. ومع تطور الذكاء الاصطناعي، من الضروري أن يعالج جميع الأطراف المعنية التحديات الأخلاقية بشكل مباشر، تمهيدًا لمستقبل يكون فيه الذكاء الاصطناعي أداة نافعة لجميع أفراد المجتمع.

مستقبل الذكاء الاصطناعي والتعاون البشري - الآلي:

يتسم مستقبل الذكاء الاصطناعي والتعاون بين البشر والذكاء الاصطناعي بشراكة متطورة تستفيد من نقاط القوة المتميزة لكل من البشر والآلات لتحقيق نتائج أفضل في مختلف القطاعات. وينظر إلى هذا التعاون بشكل متزايد على أنه مفهوم محوري في تقدم التكنولوجيا، حيث يعزز الابتكار والكفاءة بطرق لم يكن من الممكن تحقيقها سابقًا.

دور الذكاء التعاوني:

في جوهره يركز الذكاء التعاوني على التآزر بين القدرات المعرفية البشرية وقوة الحوسبة التي يوفرها الذكاء الاصطناعي. لا يعزز هذا التعاون فقط اتخاذ القرارات وحل المشكلات، بل يفتح آفاقاً جديدة للابتكار. ومع استمرار تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، من المتوقع أن يتوسع استخدامها في سير العمل اليومي، مما يؤثر بشكل كبير على صناعات مثل الرعاية الصحية والمالية والقطاعات الإبداعية.

تطورات في التعاون بين البشر والذكاء الاصطناعي:

كلما زادت تعقيد أنظمة الذكاء الاصطناعي، تطور أيضاً شكل التعاون بين البشر وهذه الأنظمة. ومن المتوقع أن تشمل التطورات المستقبلية دمج الذكاء الاصطناعي التوليدي وتحسين خوارزميات التعلم الآلي، مما يعزز عملية التعاون ويُنتج تفاعلات أكثر فاعلية. وتشير الأبحاث إلى أن هذا الاندماج سيوفر مستويات أعلى من الإبداع والدقة، مما يعزز التقدم في مجالات مثل التصميم الهندسي وخدمة العملاء^{٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢}.

التحديات والاعتبارات الأخلاقية:

رغم التوقعات الواعدة، فإن مسار تحقيق تعاون فعال بين البشر والذكاء الاصطناعي لا يخلو من التحديات. ومن أبرز القضايا: الخصوصية، والتحيز الخوارزمي، واحتمالية فقدان الوظائف بسبب الأتمتة. وسيطلب التعامل مع هذه التحديات حواراً مستمراً بين صناع القرار والمطورين، والقوى العاملة لضمان تعظيم فوائد الذكاء الاصطناعي مع تقليل آثاره السلبية.

²² <https://www.frontiersin.org/journals/psychology/articles/10.3389/fpsyg.2023.1277861/full>

²³ <https://ai-pro.org/learn-ai/articles/navigating-the-ai-revolution-timeline-of-2023-2024/>

²⁴ https://en.wikipedia.org/wiki/Ethics_of_artificial_intelligence

²⁵ <https://sjinnovation.com/future-human-ai-collaboration-whats-next>

الطريق إلى الأمام:

في المستقبل، سيكون بناء الثقة والفهم في العلاقة بين البشر والذكاء الاصطناعي أمرًا أساسيًا. وسيساعد تطوير مهارات القوى العاملة باستمرار على التكيف مع بيئة العمل المتغيرة، حيث يصبح الذكاء الاصطناعي شريكًا تعاونيًا بدلًا من مجرد أداة. ومن خلال احتضان إمكانات التعاون بين البشر والذكاء الاصطناعي ومعالجة تحدياته، يمكن للمجتمع الاستفادة من هذه الشراكة التحويلية لبناء مستقبل أكثر كفاءة وابتكارًا. وفي نهاية المطاف، يكمن النجاح في الدمج المتوازن بين الحدس البشري والقدرات التحليلية للذكاء الاصطناعي، لبناء عالم أكثر ذكاءً وترابطًا.

ما هو تعلم الآلة؟ وكيف يختلف عن الذكاء الاصطناعي؟

ما هو تعلم الآلة؟

تعلم الآلة (ML) هو فرع من الذكاء الاصطناعي (AI) يُمكن الأنظمة من التعلم من البيانات، واكتشاف الأنماط، واتخاذ القرار بأقل تدخل بشري. منذ نشأته في منتصف القرن العشرين، شهد تعلم الآلة تطورات كبيرة مدفوعة بتحسين الخوارزميات، وزيادة القدرة الحاسوبية، وتوافر مجموعات بيانات ضخمة. اليوم أصبح تعلم الآلة جزءًا لا يتجزأ من العديد من التطبيقات، بدءًا من اكتشاف الاحتيال المالي وحتى المركبات ذاتية القيادة، مما يبرز تأثيره العميق على التكنولوجيا والمجتمع ككل^{26 27}.

الفرق بين تعلم الآلة والذكاء الاصطناعي:

²⁶ <https://smythos.com/developers/agent-architectures/human-ai-collaboration-case-studies/>

²⁷ <https://smythos.com/developers/agent-development/challenges-in-human-ai-collaboration/>

لفهم الفرق بين الاثنين، يجدر التمييز على النحو التالي:

- الذكاء الاصطناعي (AI) يشمل جميع الجهود لمحاكاة الذكاء البشري، بدءاً من الأنظمة المبنية على القواعد إلى معالجة اللغة الطبيعية.
- بينما يركز تعلم الآلة (ML) تحديداً على الخوارزميات التي تتحسن أداءً كلما تعرضت لمزيد من البيانات.

هذا التمييز مهم؛ لأنه يوضح كيف يعزز تعلم الآلة قدرات الذكاء الاصطناعي عبر عمليات تعلم قائمة على البيانات، تُوظف لتحسين أنظمة AI في مجالات متنوعة.

أهمية تعلم الآلة:

إنّ تعلم الآلة قد شهد اعتماداً واسعاً في الصناعات، مما أدى إلى تحوّل رقمي يتميز بالكفاءة العالية والحلول المبتكرة. على سبيل المثال: تستخدم الشركات تعلم الآلة في التحليلات التنبؤية، والتسويق المخصص، وتحسين خدمة العملاء، ما يؤدي إلى منفعة اقتصادية كبيرة.

لكن انتشار تقنيات تعلم الآلة يثير أيضاً تساؤلات أخلاقية ملحّة، مثل حماية بيانات المستخدم، والانحياز الخوارزمي، وتأثيرها على سوق العمل، مما يجعلها موضوع بحث ونقاش مستمر.

بشكل عام، يُعدّ تعلم الآلة قوة محورية في سياق الذكاء الاصطناعي الأوسع، حيث يعيد تشكيل الصناعات وي طرح نقاشات حيوية حول مستقبلها. ومع استمرار تطوره سيظل فهم الفروق الدقيقة بين ML و AI ضروريًا لتحقيق الاستفادة الكاملة ومعالجة التحديات المصاحبة^{٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢}.

أصل وتطور تعلم الآلة:

- صاغ آرثر صموئيل مصطلح (machine learning) عام ١٩٥٩، وهو موظف في شركة IBM ورواد مجال الألعاب الحاسوبية والذكاء الاصطناعي، كما استخدم مصطلح "أجهزة تحسن ذاتيًا" لوصف الآلات التي تتعلم من البيانات.
- في عام ١٩٥٨ قدم فرانك روزنبلات نموذج Perceptron، وهو نموذج مبسط للخلية العصبية الاصطناعية يمكنه التعرف على أنماط في البيانات، ومثل ذلك أول شبكة عصبية اصطناعية.
- في الستينيات واصل الباحثون مثل يفجيني ليونودوف وألكسي ليابونوف تطوير المجال من خلال عملهم على خوارزميات الانتشار العكسي ونظريات التعلم الآلي.
- شهدت الفترة بين أواخر الستينيات والسبعينيات ما يُعرف بـ "سنوات فقدان تعلم الآلة"، بسبب قلة القدرة الحاسوبية ونقص البيانات، وبرزت قيود الشبكات العصبية في كتاب "Perceptrons" لمارفن مينسكي وسيماور بابت عام ١٩٦٩، ما ساهم في أول "شتاء للذكاء الاصطناعي"، حيث تقلص التمويل والبحث.

²⁸ <https://www.iso.org/artificial-intelligence/machine-learning>

²⁹ <https://smythos.com/developers/agent-development/challenges-in-human-ai-collaboration/>

³⁰ <https://trio.dev/companies-using-machine-learning/>

³¹ <https://www.zignuts.com/blog/ai-vs-traditional-algorithms>

³² <https://smythos.com/developers/agent-architectures/human-ai-collaboration-case-studies/>

الانتعاش في الثمانينيات:

شهد تعلم الآلة نهضة جديدة في الثمانينيات، مع تطور خوارزميات يمكنها تدريب شبكات عصبية متعددة الطبقات بكفاءة. وقد دعم هذا التجدد زيادة القدرة الحاسوبية وفهم أفضل لنظرية التعلم الإحصائي.

التكامل في التطبيقات اليوم:

تطور تعلم الآلة تدريجياً ليدخل في التطبيقات المتنوعة، من التحليلات التنبؤية إلى معالجة اللغة الطبيعية، مما يعبر عن تعدد مجالاته وأهميته داخل الذكاء الاصطناعي. واليوم يُعتبر تعلم الآلة عنصراً أساسياً في التحول الرقمي للصناعات، حيث يمكن الحواسيب من التعلم من البيانات والتنبؤ بشكل مستقل.

أنواع تعلم الآلة:

١. التعلم الموجّه (Supervised Learning):

يستخدم بيانات معنونة لتدريب الخوارزميات على التنبؤ أو تصنيف البيانات الجديدة بدقة، مثل تدريب نموذج لتعريف الصور باستخدام علامات معروفة (مثل شبكة عصبية، انحدار لوجستي، أو آلة ناقل الدعم (SVM)³³ ³⁴.

٢. التعلم غير الموجّه (Unsupervised Learning):

³³ <https://cloud.google.com/learn/what-is-machine-learning>

³⁴ <https://www.revelo.com/blog/generative-ai-vs-machine-learning>

يعمل على بيانات غير معنونة، ويكتشف الأنماط أو الهياكل بدون توجيه مسبق، مثل التجميع وتخفيض الأبعاد (hierarchical clustering and k-means) ^{٣٥}.

٣. التعلّم شبه الموجه (Semi-Supervised Learning):

يمزج بين بيانات معنونة وغير معنونة، مفيد حين يكون توفير البيانات المعنونة مكلفاً أو يستغرق وقتاً طويلاً.

٤. التعلّم التعزيزي (Reinforcement Learning):

يُدرّب "وكيلاً" لاتخاذ قرار عبر التجربة والخطأ، مع نظام مكافآت أو عقوبات، مثل تلك المستخدمة في تعليم الحواسيب لعب ألعاب معقدة ك: Go.

٥. التعلّم بالنقل (Transfer Learning):

يُعيد استخدام نموذج مدرب مسبقاً في مهمة ما وتعديله لمهمة ذات صلة، وهو فعال خاصة عند توفر بيانات محدودة للمهمة الجديدة ^{٣٦ ٣٧}.

٦. التعلّم العميق (Deep Learning):

فرع من تعلّم الآلة يستخدم شبكات عصبية عميقة متعددة الطبقات، مناسب للبيانات غير المهيكلة كالصورة والصوت والنص.

³⁵ <https://www.ibm.com/think/topics/machine-learning>

³⁶ <https://www.ibm.com/think/topics/machine-learning>

³⁷ <https://www.simplilearn.com/10-algorithms-machine-learning-engineers-need-to-know-article>

٧. التعلّم التكتلي (Ensemble Learning):

يجمع تنبؤات عدة نماذج لتحقيق نتائج أكثر دقة واستقرارًا من أي نموذج منفرد باستخدام تقنيات مثل bagging وboosting.

مقارنة بين تعلّم الآلة و الذكاء الاصطناعي (AI) & (ML):

- العلاقة: تعلّم الآلة هو جزء من الذكاء الاصطناعي، ويُعزّز قدراته من خلال تعلم قائم على البيانات.
- الاختلاف الجوهرى:
 - الذكاء الاصطناعي يهدف لمحاكاة الذكاء البشرى.
 - تعلّم الآلة يهتم باستخدام الخوارزميات لتعلّم المعرفة من البيانات وتحسين الأداء تلقائيًا.

المستقبل:

يتوقع أن تقود التطورات القادمة في الذكاء الاصطناعي وتعلّم الآلة إلى أنظمة أكثر تطورًا قادرة على التعلم من بيانات أقل Reasoning across domains، مما قد يؤثر بشكل كبير على التعليم والتسويق والرعاية الصحية، مُسهلة الأعمال الروتينية ومُحصنة للإنتاجية. ومع استمرار التطوير، سيظل التمييز بين الذكاء الاصطناعي وتعلّم الآلة أكثر وضوحًا، مؤثرًا في كيفية دمجهما في التطبيقات اليومية والصناعات.

ما هي النماذج اللغوية الكبيرة؟

النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) هي أنظمة متقدمة من الذكاء الاصطناعي مصممة لفهم اللغة البشرية، وتوليدها، ومعالجتها بدرجة عالية من الكفاءة. وقد نشأت هذه النماذج من مجالي معالجة اللغة الطبيعية (NLP) والتعلم العميق، وأسهمت في إحداث تحول جذري في كيفية تفاعل الآلات مع اللغة البشرية، مما أتاح طيفاً واسعاً من التطبيقات، بدءاً من توليد النصوص والوكلاء الحواريين، مروراً بمساعدة البرمجة، ووصولاً إلى اكتشاف الأدوية^{٣٨ ٣٩}.

شهد تطور هذه النماذج محطات بارزة، أبرزها تقديم بنية "المحول" (Transformer) عام ٢٠١٧، والتي حسنت بشكل كبير من كفاءة وفعالية النماذج اللغوية من خلال آلية "الانتباه" (Attention)، مما مكّنها من فهم السياق بشكل أعمق وتحقيق تدريب متوازٍ أكثر فعالية. وقد اتسم تطور هذه النماذج بازدياد هائل في الحجم والتعقيد، كما يظهر في نماذج مثل BERT و GPT، التي برهنت على قدرتها في التعلم من مجموعات بيانات ضخمة وتوليد نصوص مترابطة وسياقية. ويُعد نموذج GPT-٣ من شركة OpenAI مثالاً بارزاً على إمكانيات هذه النماذج، حيث أظهر كفاءة عالية في توليد نصوص تشبه اللغة البشرية عبر سياقات متنوعة^{٤٠ ٤١ ٤٢}.

وقد أدى هذا التقدم المذهل إلى زيادة الاهتمام والاستثمار في هذا المجال، مما جعل هذه النماذج في صدارة أبحاث وتطبيقات الذكاء الاصطناعي. ومع ذلك لا تخلو هذه النماذج من التحديات؛ إذ ظهرت مخاوف متعلقة بالمتطلبات الحاسوبية الهائلة، ومحدودية الذاكرة، والتحيّزات الكامنة في بيانات

³⁸ <https://arxiv.org/html/2407.14962v5>

³⁹ <https://medium.com/@amartalks25603/the-evolution-of-neural-networks-to-large-language-models-ecaa757130df>

⁴⁰ <https://www.zco.com/blog/training-large-language-models/>

⁴¹ <https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S2949719123000237>

⁴² <https://www.shakudo.io/blog/top-9-large-language-models>

التدريب، بالإضافة إلى الثغرات الأمنية. ولهذا فإن الباحثين مطالبون بمعالجة هذه الإشكاليات لضمان استخدام هذه النماذج بطريقة مسؤولة ومنصفة.

ويؤكد النقاش المستمر حول هذه التحديات على ضرورة إدماج الاعتبارات الأخلاقية وتعزيز الشفافية في تطوير النماذج اللغوية الكبيرة وتطبيقها، لا سيما وأن قدراتها تسهم بشكل متزايد في تشكيل مستقبل الذكاء الاصطناعي ودوره في المجتمع⁴³.

التاريخ:

شهدت النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) تطورًا ملحوظًا على مدى العقود القليلة الماضية، استنادًا إلى تقدمات أساسية في مجال معالجة اللغة الطبيعية (NLP) والتعلم العميق. بدأت هذه الرحلة من نماذج بسيطة، وتطورت تدريجيًا إلى بنى أكثر تعقيدًا تعتمد على مجموعات بيانات ضخمة وخوارزميات متقدمة.

التطورات المبكرة:

يمكن تتبع تطور النماذج اللغوية إلى أساليب أولية مثل نماذج "n-gram" والأساليب الإحصائية التقليدية، والتي شكّلت الأساس لتقنيات أكثر تطورًا لاحقًا. لكن التحول الحقيقي في هذا المجال بدأ مع إدخال النماذج المعتمدة على الشبكات العصبية. ومن الأمثلة البارزة على ذلك نموذج **Vec2Word**، الذي طرّح على يد ميكولوف وزملائه في عام ٢٠١٣، حيث استخدمت فيه شبكات عصبية ضحلة لإنتاج تمثيلات كثيفة للكلمات (Word Embeddings)، مما سمح بتمثيل الكلمات ذات المعاني المتقاربة على نحو متقارب في الفضاء الشعاعي.

⁴³ <https://medium.com/data-science-at-microsoft/how-large-language-models-work-91c362f5b78f>

بروز البنى العصبية:

بعد نجاح تقنيات تمثيل الكلمات، بدأ الباحثون في استكشاف بنى أعمق من الشبكات العصبية. وبرزت الشبكات العصبية التكرارية (RNNs) كخيار مفضل للتعامل مع البيانات المتسلسلة، إلا أنها عانت من صعوبات في معالجة التبعيات بعيدة المدى. وقد مثل إدخال شبكات الذاكرة طويلة وقصيرة المدى (LSTM) تحسناً في هذا المجال، إذ ساعدت على تحسين أداء النماذج في العديد من المهام اللغوية.

أما التحول الجذري فقد جاء مع ظهور بنية **Transformer** التي قدمها فاسواني⁴⁴ وزملاؤه عام ٢٠١٧ في ورقتهم البحثية الشهيرة "Attention Is All You Need". فقد أحدثت هذه البنية ثورة في مجال معالجة اللغة الطبيعية من خلال الاعتماد على آلية الانتباه الذاتي (Self-Attention)⁴⁵، والتي مكنت النماذج من التركيز على الأجزاء الأهم في تسلسل البيانات المدخلة، إلى جانب تعزيز إمكانيات التدريب المتوازي.

صعود النماذج المدربة مسبقاً:

استناداً إلى بنية المحول، ظهرت نماذج مثل **BERT** (التمثيلات الثنائية الاتجاه من المحولات) و**GPT** (المحول المدرب توليدياً)⁴⁶، والتي استفادت من التدريب المسبق واسع النطاق على مجموعات نصية متنوعة. تميز نموذج BERT الذي طورته Google AI، بقدرته الفائقة على فهم السياق اللغوي من خلال تدريبيه في الاتجاهين (السابق واللاحق)، بينما أظهرت سلسلة نماذج GPT-3 وخاصة -3GPT- إمكانيات مذهلة في توليد نصوص مترابطة وسياقية.

⁴⁴ <https://proceedings.neurips.cc/paper/2017/file/3f5ee243547dee91fbd053c1c4a845aa-Paper.pdf>

⁴⁵ <https://arxiv.org/abs/1803.02155>

⁴⁶ <https://arxiv.org/pdf/2303.08774>

الانتقال إلى النطاق الكبير:

استمر حجم النماذج اللغوية في الازدياد، مع ظهور نماذج مبتكرة مثل نموذج **Mixture-of-Experts (MoE)**، والذي مثله نموذج **DeepSeek-R** ١ باحتوائه على أكثر من ٦٧١ مليار مُعلمة، مما أتاح له أداءً متميزاً في مهام معقدة مثل حل المسائل الرياضية وتوليد الشيفرة البرمجية. وقد عزز هذا التوجه نحو نماذج أكبر أهمية الكفاءة الحاسوبية، إلى جانب تحسين قدرة النماذج على التعامل مع مهام متقدمة، مما دفع حدود إمكانات النماذج اللغوية الكبيرة إلى آفاق جديدة.

البنية المعمارية:

تعد البنية المعمارية للنماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) إطاراً متقدماً تطور على مر الزمن، مدفوعاً باختراقات أساسية وابتكارات في مجالي معالجة اللغة الطبيعية (NLP) والتعلم العميق. يتناول هذا القسم المكونات الرئيسية التي تشكل بنية النماذج اللغوية الكبيرة، بما في ذلك الترميز (Tokenization)، طبقات التضمين (Embedding Layers)، آلية الانتباه الذاتي (Self-Attention)، والتصميم الهيكلي العام.

الترميز (Tokenization):

يمثل الترميز الخطوة الأولى في سلسلة معالجة النماذج اللغوية الكبيرة، حيث يتم تقسيم النص المدخل إلى وحدات أصغر تُعرف باسم "الرموز" أو "التوكنات" (Tokens). يمكن أن تمثل هذه الرموز كلمات، أو أجزاء من كلمات، أو حتى أحرف مفردة، ويتم تحويلها إلى تمثيلات عديدة تُعرف باسم التضمينات (Embeddings) لتصبح قابلة للفهم من قبل النموذج. وتعد هذه المرحلة بالغة الأهمية، إذ تُحدد مدى فعالية النموذج في فهم اللغة وتوليدها.

طبقة التضمين (Embedding Layer) :

تقوم طبقة التضمين بتحويل الرموز إلى متجهات كثيفة في فضاء عالي الأبعاد، بحيث تعبر هذه المتجهات عن المعاني الدلالية للكلمات. هناك عدة تقنيات لتوليد هذه التضمينات، من بينها GloVe و Vec2Word، بالإضافة إلى التضمينات التي يتم تعلمها أثناء تدريب النموذج ذاته. ويتم كذلك دمج تضمينات المواقع (Positional Embeddings) مع تضمينات الكلمات لتزويد النموذج بمعلومات حول ترتيب الرموز ضمن التسلسل، نظرًا لافتقار بنية Transformer لفهم الترتيب الزمني الداخلي بشكل طبيعي.

آلية الانتباه الذاتي (Self-Attention) :

تعد آلية الانتباه الذاتي من أبرز السمات المميزة لبنية LLM، حيث تُحسب من خلالها درجات الانتباه لتحديد مدى أهمية كل رمز بالنسبة للرموز الأخرى ضمن التسلسل نفسه. وتتيح هذه الآلية للنماذج تركيز اهتمامها على الكلمات الأكثر صلة، مما يعزز الفهم السياقي للنصوص في مهام مثل الترجمة وتوليد النص. ويتم اشتقاق درجات الانتباه من خلال إسقاط التضمينات المدخلة إلى ثلاث متجهات مميزة: الاستعلامات (Queries)، والمفاتيح (Keys)، والقيم (Values)، مما يتيح للنموذج تعيين الانتباه ديناميكيًا داخل التسلسل.

الهيكل الطبقي (Layered Structure):

في جوهره يتكوّن النموذج اللغوي الكبير من طبقات متعددة من العقد العصبية المترابطة والمنظمة على نحو متسلسل. تعالج كل طبقة البيانات المدخلة وتُمررها إلى الطبقة التالية، مما يمكن النموذج من التقاط العلاقات والأنماط المعقدة. ويمكن تشبيه هذا البناء المتعدد الطبقات بتكديس نماذج انحدار خطي مزودة بتفعيلات غير خطية (Non-linear Activations)، الأمر الذي يسمح للنموذج

بالتعامل مع علاقات غير خطية بدرجة عالية. ويُعد العمق والتعقيد البيوي من العوامل الأساسية في تطوير نماذج قادرة على تنفيذ مهام متقدمة مثل التفاعل الحوارى وتلخيص النصوص.

الابتكارات في بنية LLM :

أفضت الابتكارات المعمارية في مجال النماذج اللغوية الكبيرة إلى إدخال عدد من الآليات المتقدمة، أبرزها بنية Transformer، التي اعتمدت الانتباه الذاتي كحجر أساس. وقد حسنت هذه البنية أداء النماذج في مهام NLP بدرجة ملحوظة، مما أتاح لها إنتاج لغة أكثر تماسكاً وسلاسة مقارنة بالنماذج التكرارية السابقة. علاوة على ذلك، أُدخلت تقنيات مثل الترميز الموضوعي النسبي (Relative Positional Encoding) في نماذج مثل Transformer-XL، مما عزز قدرة النموذج على التقاط التبعيات طويلة المدى في البيانات المتسلسلة، متجاوزاً بذلك القيود المعمارية السابقة.

التطبيقات:

لقد أثبتت النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) قدرتها على تلبية مجموعة واسعة من التطبيقات في مجالات متعددة، مستفيدة من قدراتها المتقدمة في فهم اللغة الطبيعية وتوليدها. وتشمل هذه التطبيقات دون أن تقتصر على توليد النصوص -توليد الشيفرات البرمجية، واكتشاف الأدوية.

توليد النصوص:

يُعد توليد النصوص من أبرز تطبيقات النماذج اللغوية الكبيرة، حيث تُستخدم هذه النماذج في إنتاج نصوص مترابطة وسياقية استناداً إلى مدخلات معينة. ويتضمن ذلك مهاماً مثل الإجابة عن الأسئلة، وتوليد الحوارات، وتلخيص النصوص. وقد لعبت الشبكات العصبية التكرارية (RNNs) وتفرعاتها دوراً مهماً في نمذجة البيانات التسلسلية لهذه المهام، مما مكن النماذج من التعلم من مجموعات

بيانات ضخمة وتقديم مخرجات عالية الجودة. وتستطيع النماذج اللغوية الكبيرة توليد نصوص شبيهة بتلك التي يكتبها الإنسان في مجالات متعددة مثل الكتابة الإبداعية والتعليق على الصور، مما يدل على مرونتها وقدرتها على التعامل مع أنماط متنوعة من البيانات النصية.

توليد الشيفرات البرمجية:

تستخدم النماذج اللغوية الكبيرة أيضًا في توليد الشيفرات البرمجية، حيث يمكنها تحليل سياق الشيفرة قيد الإنشاء وتقديم اقتراحات مناسبة للمبرمجين. وهذا الاستخدام يعزز الإنتاجية بشكل ملحوظ من خلال تقليل الوقت الذي يقضيه المطورون في إتمام المهام البرمجية. وتزداد شعبية الأدوات المعتمدة على الذكاء الاصطناعي في هذا المجال، لما توفره من سهولة في سير العمل وتسريع دورات التطوير البرمجي.

الذكاء الاصطناعي الحوارى:

يمثل الذكاء الاصطناعي الحوارى - بما يشمله من روبوتات دردشة ذكية ومساعدين صوتيين - أحد أبرز مجالات الاستخدام التفاعلية للنماذج اللغوية الكبيرة. إذ تستخدم هذه النماذج في تقديم ردود مخصصة وواعية بالسياق، مما يتيح تفاعلات طبيعية وسلسلة بين الإنسان والآلة. ويظهر توظيف LLMs في السياقات الحوارية مدى فعاليتها في تحسين تجربة المستخدم من خلال أنظمة حوارية تعتمد على اللغة بطلاقة وذكاء.

التحديات والقيود:

رغم التقدم الكبير الذي أحرزته النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) في مجال الذكاء الاصطناعي، فإنها لا تزال تواجه العديد من التحديات والقيود التي تؤثر في فعاليتها وقابلية استخدامها. ويمكن تصنيف

هذه العقبات بشكل عام إلى فئات تشمل: المتطلبات الحوسبية، إدارة الأخطاء، كفاءة التدريب، تكلفة الموارد، الأثر البيئي، ومشكلات تتعلق بالذاكرة، والانحياز، وأمن البيانات.

المتطلبات الحوسبية:

أحد أبرز التحديات المرتبطة بتشغيل LLMs هو ارتفاع متطلباتها من حيث القدرة الحوسبية. إذ تتطلب عملية تدريب هذه النماذج وضبطها الدقيق قدرًا هائلًا من الطاقة الحسابية، مما يؤدي إلى زيادة كبيرة في التكاليف التشغيلية، فضلًا عن التأثير البيئي الناتج عن الاستهلاك المرتفع للطاقة خلال مرحلتي التدريب والاستدلال.

القيود المتعلقة بالذاكرة:

تعاني LLMs أيضًا من قيود تتعلق بالذاكرة، لا سيما في السياقات التي تتطلب تفاعلات مستمرة طويلة الأمد. فهذه النماذج تفتقر إلى ذاكرة طويلة المدى، مما يضطر المستخدمين إلى إعادة تقديم المعلومات والخلفيات السياقية في كل مرة يتفاعلون فيها مع النموذج. على سبيل المثال: قد لا يتذكر روبوت الدردشة في تطبيقات خدمة العملاء المحادثات السابقة، مما يؤدي إلى تكرار الأسئلة وتجربة غير مرضية للمستخدم.

الانحياز والعدالة:

يمثل الانحياز في LLMs مصدر قلق أخلاقي بالغ، إذ يمكن لهذه النماذج أن تتعلم وتضخم الانحيازات المجتمعية الموجودة في بيانات التدريب. ويشمل ذلك انحيازات اجتماعية تتعلق بالعمر، أو النوع الاجتماعي، أو العرق، مما قد يؤدي إلى مخرجات تفضل مجموعات معينة على حساب أخرى. على سبيل المثال: قد تؤدي البيانات التاريخية إلى توصية النموذج برجال لتولي مناصب قيادية

بوتيرة أعلى من النساء، رغم تماثل المؤهلات. ومن الضروري معالجة هذه الانحيازات لضمان مخرجات عادلة ومنصفة من الذكاء الاصطناعي.

حدود المعرفة والهوسات:

تواجه LLMs أيضًا مشكلات تتعلق بحدود المعرفة، إذ إنها لا تكون على دراية بالأحداث أو المعلومات التي وقعت بعد تاريخ انتهاء تدريبها. علاوة على ذلك قد تنتج هذه النماذج ما يُعرف بـ"الهوسات"، حيث تقدم معلومات غير صحيحة على نحو يبدو واثقًا، مما يطرح تحديات تتعلق بالموثوقية والدقة. ويتعين على المستخدمين والمطورين أن يكونوا على وعي بهذه القيود حتى يتمكنوا من استخدام إمكانات LLMs بفعالية، وفي الوقت ذاته التقليل من عيوبها المحتملة.

الاتجاهات المستقبلية:

تتطلب مواصلة تطوير ونشر النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) تفكيرًا إستراتيجيًا بشأن الاتجاهات المستقبلية الكفيلة بتحسين فعاليتها وتقليل المخاطر الكامنة في استخدامها. وعلى الرغم من الإنجازات الكبيرة التي تحققت بالفعل في مجالات مثل هندسة النماذج، وتعزيز الفهم السياقي، وإستراتيجيات التحسين، إلا أن ثمة تحديات عديدة لا تزال تتطلب المعالجة لضمان نشر الذكاء الاصطناعي بشكل مسؤول ومفيد للمجتمع.

الاعتبارات الأخلاقية في تطوير الذكاء الاصطناعي:

يرتكز أحد المحاور الأساسية للعمل المستقبلي على دمج المبادئ الأخلاقية في تصميم وتطبيق LLMs. ويشمل ذلك معالجة قضايا الانحياز والعدالة، وضمان قدرة النماذج على تفسير قراراتها، والتكيف مع السياقات المتنوعة. ويمكن أن تسهم التدابير الاستباقية، مثل تحسين تقنيات اكتشاف

الانحياز وتطوير نماذج قابلة للتفسير، في بناء أنظمة ذكاء اصطناعي أكثر عدالة وإنصافاً. كما توجد حاجة ماسة إلى وضع مقاييس واضحة لتقييم أداء النماذج، مع إيلاء أهمية قصوى لخصوصية المستخدم وتعزيز أمن البيانات.

التعاون المجتمعي والمبادرات مفتوحة المصدر:

يمكن تعزيز التقدم المستقبلي في مجال LLMs بشكل كبير من خلال تشجيع التعاون المجتمعي ودعم المبادرات مفتوحة المصدر. فقد أثبتت الجهود التعاونية بين الباحثين والمطورين، كما هو الحال مع مؤسسات مثل OpenAI و Hugging Face أنها محرك أساسي لتسريع وتيرة الابتكار في النماذج المتقدمة. إن تعزيز المساهمات مفتوحة المصدر لا يتيح فقط تبادل المعرفة، بل يساهم أيضاً في ديمقراطية الوصول إلى تقنيات الذكاء الاصطناعي المتقدمة، مما يشجع الابتكار ويعزز متانة النماذج عبر مختلف التطبيقات.

مواجهة تحديات "العلم المغلق":

مع انتقال LLMs من إطار البحث التجريبي إلى كونها منتجات تجارية قابلة للتطبيق، ظهر توجه متزايد نحو ما يسمى بـ "العلم المغلق"، حيث تصبح النماذج والمنهجيات محصورة ضمن نطاق الشركات ولا تكون متاحة للباحثين والمجتمع العلمي. ويُعدّ هذا التوجه عائقاً أمام إعادة إنتاج نتائج البحوث والتحقق منها، مما قد يحدّ من التقدم التعاوني في المعرفة. وينبغي أن تكون الشفافية في أبحاث الذكاء الاصطناعي ذات أولوية قصوى، مع الدعوة إلى الانفتاح في مشاركة المنهجيات والبيانات لضمان التقدم الجماعي في المجتمع العلمي.

معالجة التحديات التقنية والتشغيلية:

لا تزال التكاليف التشغيلية المرتفعة المرتبطة بتدريب وتشغيل LLMs تمثل حاجزاً كبيراً أمام التبني الواسع لها. ويتطلب التصدي لهذه التحديات استكشاف أساليب تدريب أكثر كفاءة، مثل إعادة ضبط النماذج الحالية لتناسب مهام محددة بدلاً من بناء نماذج جديدة من الصفر. فضلاً عن ذلك قد تسهم إستراتيجيات مثل النمذجة اللغوية المعززة بالاسترجاع (retrieval-augmented language modeling) في تقديم حلول مبتكرة لتعزيز قدرة النماذج على التكيف وتقديم محتوى ذي صلة في الوقت الفعلي.

ويمكن تجسيد العرض السابق فيما يمكن أن نسميه بالروبوت والذي نتناوله باختصار في الفقرات التالية.

الروبوت هو آلة في جوهرها وحدة تعامل برمجي قادرة على تنفيذ المهام بشكل تلقائي، غالباً من خلال اتباع تعليمات مبرمجة أو الاستجابة للبيئة المحيطة باستخدام أجهزة استشعار ومحركات. يمكن أن يكون الروبوت بسيطاً أو شديد التعقيد، ويستخدم في مجموعة واسعة من التطبيقات، مثل الصناعة، والاستكشاف، والرعاية الصحية، والمساعدة الشخصية.

السمات الرئيسية للروبوتات:

- الاستقلالية (جزئية أو كاملة): يمكنه أداء المهام مع تدخل بشري ضئيل أو بدون تدخل.
- الاستشعار: يستخدم أجهزة استشعار لفهم البيئة من حوله (مثل الكاميرات، الميكروفونات، مستشعرات اللمس).
- التنفيذ: يستخدم محركات أو أجهزة أخرى للتحرك أو التعامل مع الأشياء.
- البرمجة: يعمل بناءً على تعليمات مكتوبة مسبقاً أو سلوك مكتسب.
- التفاعل: بعض الروبوتات يمكنها التفاعل مع البشر أو الأنظمة الأخرى.

أنواع الروبوتات:

- الروبوتات الصناعية: تُستخدم في المصانع لأداء مهام مثل اللحام والتجميع.
- الروبوتات الخدمية: لأداء مهام مثل التنظيف، أو التوصيل، أو الجراحة.
- روبوتات الاستكشاف: تُستخدم في المهام الفضائية أو تحت الماء (مثل مركبات ناسا الجوالة على المريخ).
- الروبوتات الاجتماعية: مصممة للتفاعل مع البشر.
- الروبوتات الشبيهة بالبشر (Humanoid): تأخذ شكل الإنسان وتستخدم غالباً في البحث أو المساعدة.

باختصار: الروبوت هو آلة قابلة للبرمجة مصممة لأداء المهام، واتخاذ القرارات، وأحياناً التعلم من التجارب، وغالباً ما تُستخدم كأداة لمساعدة الإنسان أو تعزيز قدراته.

الروبوتات الاجتماعية:

الروبوت الاجتماعي هو نوع من الروبوتات مصمم للتفاعل مع البشر بطريقة ذكية اجتماعياً، مستخدماً التواصل اللفظي وغير اللفظي. تم تصميم هذه الروبوتات للتفاعل وتستجيب وتتصرف بطرق تحاكي السلوك الاجتماعي، مما يجعلها أكثر قرباً وفائدة وقابلية للتفاعل.

السمات الرئيسية للروبوتات الاجتماعية:

- التواصل الشبيه بالبشر: تستخدم الكلام، الإيماءات، تعابير الوجه، أو لغة الجسد.
- فهم الإشارات الاجتماعية: تكتشف وتستجيب لنبرة الصوت، اتجاه النظر، التعبيرات العاطفية، وغيرها.

- التعلم والتكيف: يمكنها تعديل سلوكها بناءً على تفاعلات سابقة (في النماذج الأكثر تقدماً).
- مُصمّمة للتفاعل الاجتماعي: دورها الأساسي هو التفاعل الاجتماعي وليس أداء المهام الجسدية.

أمثلة على الروبوتات الاجتماعية:

- مصمم للتعرف على المشاعر والتفاعل مع الأشخاص في البيئات التجارية أو الرعاية.
- روبوت على شكل صغير الفقمعة يُستخدم في العلاج مع كبار السن أو مرضى الخرف.
- روبوت بشري الشكل يُستخدم في التعليم، البحث، والعلاج.
- روبوت مخصص للأطفال لدعم التطور الاجتماعي والعاطفي.

الاستخدامات:

- رعاية كبار السن وتقديم الرفقة.
 - التعليم والعلاج للأطفال المصابين بالتوحد.
 - خدمة العملاء (مثلاً في البنوك أو المطارات).
 - البحث في تفاعل الإنسان مع الروبوت.
- باختصار: الروبوت الاجتماعي يُجسّد جسراً بين الآلة والإنسان من خلال تفاعل بديهي، متعاطف، وذو بُعد اجتماعي حقيقي.

المبحث الثاني: تصوير الفتوى وأثرها على العملية الإفتائية

مما هو مقرر في علوم الإفتاء: أن الفتوى تمر بأربع مراحل أساسية، وهي مرحلة التصوير، ومرحلة التكيف، ومرحلة بيان الحكم، ثم مرحلة الإفتاء وهي تنزيل الحكم على واقع المستفتي.

فأول هذه المراحل وأهمها "تصوير المسألة"، فقد اعتبرها العلماء ركناً أساسياً في أركان الإفتاء؛ يقول إمام الحرمين الجويني: "وأول ما يجب به الافتتاح: تصوير المسألة"^(٤٧)، ويقول أيضاً: "ومن أهم ما يجب الاعتناء به: تصوير قياس الشبه، وتمييزه عن قياس المعنى"^(٤٨).
فالتصوير الصحيح المطابق للواقع شرط أساسي لصدور الفتوى بشكل يتناسب مع الواقع المعيش، يقول العلامة ابن دقيق العيد - عند ذكر مسألة تعارض نصين كل واحد منهما بالنسبة للآخر عام من وجه خاص من وجه -: "وتحقيق ذلك أولاً يتوقف على تصوير المسألة"^(٤٩).

المطلب الأول: اشتراك المفتي والمستفتي في تصوير المسألة

نص العلماء على أن عبء التصوير وإن كان يقع بالأساس على المستفتي، إلا أنها عملية يشترك فيها المفتي أيضاً، فيتحرى بواسطة السؤال عن الجهات الأربع التي تختلف الأحكام باختلافها، وكثيراً ما يتم الخلط والاختلاط من قبل السائل بشأنها، وهي الزمان والمكان والأشخاص والأحوال؛ يقول إمام الحرمين الجويني: "المسألة إذا حُقِّق تصويرها لم يبق فيها خلاف"^(٥٠).
كما ينبغي على المفتي أيضاً أن يتأكد من تعلق سؤال المستفتي بالأفراد وبالأمّة؛ لأن الفتوى تختلف بهذين الأمرين.

ووضع الصور للمسائل والقضايا التي تحدث ليس بأمر هين في نفسه، بل المفتي الذكي ربما يقدر على الفتوى في كل مسألة إذا ذكرت له صورتها، ولو كلف وضع الصور وتصوير كل ما يمكن من التفريعات والحوادث في كل واقعة عجز عنه، ولم يخطر بقله تلك الصور أصلاً، وإنما ذلك شأن المجتهد، يقول العلامة ابن الصلاح: "لأن تصوير المسائل على وجهها، ثم نقل أحكامها بعد استتمام

(٤٧) البرهان في أصول الفقه، للجويني (٢/ ٢٣٣).

(٤٨) البرهان في أصول الفقه، للجويني (٢/ ٥٣).

(٤٩) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد (ص ٢٨٩).

(٥٠) البرهان في أصول الفقه، للجويني (٢/ ٢٥٦).

تصويرها جلياتها وخفياتها، لا يقوم به إلا فقيه النفس، ذو حظ من الفقه"^(٥١).

أولاً: استفصالات المفتي ووقوفه على الملابس:

هناك أمور ينبغي على المفتي أن يستوفيها، فيتأمل السؤال، فإذا مر بمشتبهِ سأل عنه المستفتي، وإن كانت هناك لفظة موهمة أو محتملة ضبطها معه؛ مصلحةً لنفسه وللمستفتي، فيستفسر من السائل عن مقصوده، ويطلب منه بيان مراده، خاصةً إذا كان في المسألة تفصيل وبيان.

على أن استيفاء موضوع الفتوى واستكمال متطلباته، يساعد كثيرًا في التوصل للتصور الصحيح للحكم على هذه الفتوى، وأن الإخلال بها سيؤدي حتمًا إلى التصور الخاطئ لمحل الفتوى، فتكون النتيجة الإجابة عن شيء آخر غير المسؤول عنه.

يقول الخطيب البغدادي: "فَإِذَا قَرَأَ الْمُفْتِي رُفْعَةَ الْإِسْتِفْتَاءِ فَمَرَّ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَى النَّقْطِ وَالشَّكْلِ، نَقَطَهُ وَشَكَلَهُ، مَصْلَحَةً لِنَفْسِهِ، وَنِيَابَةً عَمَّنْ يُفْتِي بَعْدَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَى لَحْنًا فَاحِشًا، أَوْ خَطَأً يُحِيلُ الْمَعْنَى، غَيْرَ ذَلِكَ وَأَصْلَحَهُ، وَرَأَيْتُ الْقَاضِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ طَاهِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الطَّبْرِيِّ يَفْعَلُ هَذَا فِي الرَّقَاعِ الَّتِي تُرْفَعُ إِلَيْهِ لِلْإِسْتِفْتَاءِ" اهـ"^(٥٢).

أي أن المسألة ما دامت تحتاج إلى تصحيح، أو تفصيل وتوضيح، فإنه ينبغي على المفتي أن يستوضح ذلك من السائل.

واستيفاء السؤال واستكمال متطلباته، هو منهج شرعي، دلَّت عليه الأحاديث النبوية:

- ففي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما أتى ماعز بن مالك رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ((لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ))^(٥٣).

فلم يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم برجمه من أول الأمر، بل استفصل واستفسر عن أمور، حتى

(٥١) أدب المفتي والمستفتي، لابن الصلاح، (ص ١٠٠)، مرجع سابق.

(٥٢) ينظر: "الفقيه والمتفقه" (٢/ ٣٨٨).

(٥٣) صحيح البخاري (٨/ ٤٦١) رقم (٦٨٣٣)، كتاب المحاررين: باب: سؤال الإمام المقر هل أحصنت؟

أقرَّ بصريح الزنا.

- وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا، فقال: ((أَكُلُّ وَلَدِكَ نَحْلَتَ مِثْلَ هَذَا؟ قال: لا، قال: فَأَرْجِعْهُ))^(٥٤).

- وعن أم هانئ رضي الله عنها، قالت: ((لما كان يوم الفتح فتح مكة، جاءت فاطمة رضي الله عنها،

فجلست عن يسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأم هانئ عن يمينه، قالت: فجاءت الوليدة بإناء

فيه شراب، فناولته فشرب منه، ثم ناوله أم هانئ، فشربت منه، فقالت: يا رسول الله، لقد أفطرتُ وكنت

صائمة، فقال لها: أَكُنْتِ تَقْضِينَ شَيْئًا؟ فَقَالَتْ: لا، قَالَ: فَلَا يَضُرُّكَ))^(٥٥).

يقول الشيخ ابن القيم: "وَمَنْ تَأَمَّلَ أَجْوِبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى مَا يَسْتَفْصِلُ حَيْثُ تَدْعُو

الْحَاجَةَ إِلَى الْإِسْتِفْصَالِ وَيَتْرُكُهُ حَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيُحِيلُ فِيهِ مَرَّةً عَلَى مَا عَلِمَ مِنْ شَرَعِهِ وَدِينِهِ مِنْ

شُرُوطِ الْحُكْمِ وَتَوَابِعِهِ"^(٥٦).

وهذا المنهج هو ما نصَّ عليه العلماء قديمًا وحديثًا؛ خاصة ممن كتبوا في آداب المفتي والمستفتي،

وصفة المفتي التي ينبغي أن يكون عليها، كل بما يناسب عَصْرَهُ ويوافق مِصْرَهُ.

يقول العلامة ابن حمدان: "وَلَهُ أَنْ يَسْتَفْصِلَ السَّائِلَ... وَيَسْأَلَ الْمُسْتَفْتِيَ عَنِ الْمُشْتَبِهِ، وَيَنْقُطُهُ

وَيَشْكُلُهُ؛ لِمَصْلَحَتِهِ وَمَصْلَحَةِ مَنْ يُفْتِي بَعْدَهُ، وَإِنْ رَأَى لَحْنًا فَاحِشًا أَوْ خَطَأً يُحِيلُ مَعْنَى: أَصْلَحَهُ؛ لِأَنَّ

قَرِينَةَ الْحَالِ تَقْتَضِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَاحِبَ الْوَرَقَةِ إِنَّمَا قَدَّمَهَا إِلَيْهِ لِيَكْتَبَ فِيهَا مَا يَرَى، وَهَذَا مِنْهُ"^(٥٧).

ثانيًا: الاستعانة بالمتخصصين في اكمال التصوير:

يحتاج المفتي إلى ممارسة ومعايشة لواقع المسألة لاستكمال تصوره لها، وهذا يتطلب الرجوع إلى

المختصين لا سيما في العلوم البعيدة عن تخصصه الشرعي؛ كالتطب والاققتصاد مثلاً، فالرجوع إلى

(٥٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤٦٥ / ٣) رقم (٢٦٠٢) كتاب: الهبة وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيزِ عَلَيْهَا.

(٥٥) أخرجه أبو داود في "سننه" (٣٢٩ / ٢) رقم (٢٤٥٦).

(٥٦) ينظر: "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٤ / ١٤٩) ط. دار الكتب العلمية.

(٥٧) ينظر: "صفة الفتوى" (ص ٥٧).

المتخصصين والخبراء لاستطلاع آرائهم لا غنى للمفتي عنه، وهذا ليس معناه نقل الاختصاص بالفتوى إلى هؤلاء، بل يبقى اختصاص الفتوى وبيان الحكم الشرعي مكفولا للمفتي، بعد أن يحيط علماً بالمقدار الذي يتوقف عليه التصوير الصحيح للمسألة أو الواقعة محل النظر والبحث.

وهنا يجب على المفتي أن يرجع في تلك المجالات إلى أهل الذكر وهم الخبراء والمتخصصون في تلك العلوم؛ ليعرف ماهية الأمر الذي يريد أن يجيب عنه، فإذا حصل له الإدراك لواقع تلك الأشياء استطاع في هذه الحالة أن يقوم بصياغة الإفتائية بشكل صحيح ودقيق مناسب للواقع.

ثالثاً: الوقوف على أطراف المسألة عند حصول نزاع:

ينبغي على المفتي أن يعرف أنه ليس كل ما يُعرض عليه من الأسئلة هو ممَّا يُجاب عنه؛ فهناك أسئلة تتطلب وجود أطراف النزاع؛ خاصة المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية والمعاملات.

قال قاضي الكوفة الإمام عبد الله بن شبرمة: "إِنَّ مِنَ الْمَسَائِلِ مَسَائِلَ لَا يَجْمَلُ بِالسَّائِلِ أَنْ يُسْأَلَ" زَادَ حَنْبَلٌ: عَنْهَا، ثُمَّ اتَّفَقَا: "وَلَا بِالْمَسْئُولِ أَنْ يُجِيبَ"^(٥٨).

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في تغيير الفتوى

أولاً: تغيير الفتوى بتغير الجهات الأربع:

نصَّ العلماء كثيراً في كتبهم على أن الأحكام تتغير بتغير الجهات الأربع: الزمان، والمكان، والأحوال، والأشخاص^(٥٩)، وذلك تحت مظلة المقاصد الشرعية.

وإذا نظرنا إلى حقيقة الواقع وحاولنا أن نضبط مفهومه: نجد أنه يتكون من عوالم خمسة يمكن للمفتي

(٥٨) أخرجه أبو بكر وكيع في "أخبار القضاة" (٣/ ٨٨)، ط. المكتبة التجارية الكبرى، وابن بطة في "الإبانة الكبرى" (١/ ١٧٤)، ط. دار الراجحي: الرياض، والخطيب البغدادي في "الفتية والمتفقه" (٢/ ٤١٧)، ط. دار ابن الجوزي، ط: ٢٠١٤هـ.

(٥٩) ينظر: إعلام الموقعين لابن القيم، ٣/ ١١، ط. دار الكتب العلمية، وصناعة الإفتاء ص: ٤١، والمراد بالأحكام هنا: الأحكام المبنية على الأعراف والعادات، والأحكام الاجتهادية التي استنبطت بدليل القياس أو المصالح المرسله أو الاستحسان أو غيرها من الأدلة الفرعية، وإنما نسب التغيير لتغير الزمان في كلام بعض أهل العلم؛ لأن الزمان هو الوعاء الذي تجري فيه الأحداث والأفعال والأحوال، وهو الذي تتغير فيه العوائد والأعراف، فنسبة تغير الفتوى لتغير الزمان من هذا الباب، وإلا لو ظل العرف كما هو عدة قرون لم يكن أحد مستطيعاً أن يغير الفتوى.

أن يدركها في نفسها، وقد قام مالك بن نبي بذكر هذه العوالم، وهي:

عالم الأشياء: وهو ما يمكن أن يقع تحت ملك الإنسان حال حياته، أي شيء كان.

وعالم الأشخاص: ويفرق فيه بين شخصيتين:

الأولى: الاعتبارية، كالشركات والمؤسسات والمصارف ونحو ذلك.

الثانية: الطبيعية، وهي: شخصية الإنسان، والتي لها عقل مفكر ونفس ناطقة، ومراقبة ومسئولة عن أفعالها أمام الله جل جلاله.

وعالم الأحداث: ويشمل كل ما يدور في العالم من أحداث؛ سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو غيرها، مما يساعد في عملية تصور الوقائع والمستجدات وتوصيفها.

وعالم الأفكار: ومن خلاله يستطيع المفتي أن يدرك الفلسفات المتشابكة والمحيطة بالعقول.

وعالم النظم: وهو ما يحيط بهذه العوالم الأربعة، وينظمها، ويربط ما بينها.

وهذه هي عناصر إدراك الواقع التي يمكن للمفتي أن يحركها من خلال الفتوى^(٦٠).

إذن الواقع شديد التركيب والتعقيد في أغلب أحواله؛ لذلك كان إدراكه صعباً، والمفتي المستنير هو الذي يصنع الفتوى وهو يراعي حال المستفتي وعاداته وبيئته وما إلى ذلك، ويعلم بأن ذلك جزء لا يتجزأ من الفتوى، وهو ما اعتنى به الإمام محمد عبده أشد اعتناء، خاصة فيما يُعرض له من فتاوى مستجدة ووقائع مستحدثة في دنيا الناس.

ومما يذكر: أن المفتي حكمه حكم الطبيب، ينظر في الواقعة ويذكر فيها ما يليق بها بحسب مقتضى الحال والشخص والزمان، فالمفتي طبيب الأديان، وذلك طبيب الأبدان^(٦١).

والأحكام التي ينبغي أن يراعيها المفتي وهو ينظر إلى الواقع ومتغيراته، هي الأحكام المبنية على

(٦٠) انظر في تفصيل الكلام على هذه العوالم: مشكلات الأفكار في العالم الإسلامي، للمفكر الإسلامي مالك بن نبي، ص: ٢٤، طبعة دار الفكر،

بيروت ٢٠٠٢م، الطبعة الثانية، الطريق إلى التراث الإسلامي، مقدمات معرفية ومداخل منهجية للدكتور علي جمعة، ص: ١٢-٢٣، طبعة نخبة

مصر، ويراجع كتاب: ضوابط الاختيار الفقهي، الصادر من دار الإفتاء، لمجموعة من الباحثين.

(٦١) الإمام السيوطي، الحاوي للفتاوى، ٣٩٢، ط. دار الفكر.

الأعراف والعوائد، والمبنية على اجتهاد الفقيه أو المفتي، أما الأحكام القطعية؛ كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، وحرمة الظلم والزنا والكذب والاعتداء وغير ذلك من الأحكام التي أمر الشرع الشريف بفعلها أو اجتنابها، فهي ثابتة لا تتغير.

فالتغير ليس في ذات الأحكام؛ وإنما هو تغيرٌ بموارد تطبيقها على واقع الناس، وأن الحكم أمرٌ كليٌّ قابل للتطبيق على صور عديدة في وقائع مختلفة.

والشريعة لم تنص على حكم كل جزئية، وإنما أتت بأمورٍ كليةٍ وعباراتٍ مطلقةٍ تتناول أعدادًا لا تنحصر، ومع ذلك فلكل معينٍ خصوصيةٌ ليست في غيره ولو في نفس التعيين^(٩١).

ثانيًا: تغير الفتوى بناء على المصلحة:

تحقيق المصالح من الأسس التي ينبغي أن يبني عليها المفتي منهجه الإفتائي؛ فينظر إليه على أنه أصل من أصول الأحكام الاجتهادية، ومبدأ من مبادئ التشريع، وحقيقة من الحقائق الثابتة التي توصل إلى هدايات القرآن الكريم وتبين أحكامه.

وبعض هذه المصالح يرجع إلى أفراد الأمة، بحيث يدرك كل إنسان مصلحته الخاصة، وبعضها يرجع إلى المصالح العليا للأمة أو للدولة من تحقيق الأمن والعدل والسياسة.. إلخ، فمثل هذه الأمور لا يصلح الإفتاء فيها إلا بعد مراجعة ولي الأمر وأهل الاختصاص؛ لأنهم يطلعون على تفاصيل ودقائق لا يطلع عليها غيرهم^(٩٢).

وقد أخبر الله تعالى الملائكة بأنه جاعلٌ في الأرض خليفة، ففهموا أن الله يودع في فطرة هذا النوع الذي يجعله خليفة أن يكون ذا إرادة مطلقة واختيار في عمله غير محدود، وأن الترجيح بين ما يتعارض من الأعمال التي تعن له تكون بحسب علمه، وأن العلم إذا لم يكن محيطاً بوجوه المصالح والمنافع؛

٦٢ الموافقات للإمام الشاطبي المالكي، ٤ / ٩١.

٦٣ الفتوى بين الأصالة والمعاصرة، د/ سعيد عامر، ص ٦٠، ط. مجمع البحوث الإسلامية.

فيوجه الإرادة إلى خلاف المصلحة والحكمة وهو الفساد"^(٦٤).

والمصالح: جمع مصلحة، ويدور معناها حول جلب المنافع ودفع المفاسد، وهو المعنى الذي قرره العلماء وجاءت به عباراتهم:

فقد عرفها الإمام أبو حامد الغزالي بأنها: المحافظة على مقصود الشرع^(٦٥).

وعرفها الإمام ابن قدامة الحنبلي بأنها: جلب المنفعة، أو دفع المضرّة^(٦٦).

وكما أن الفقهاء ردوا قواعد الفقه إلى خمس قواعد، فإن بعض العلماء ردّ هذه القواعد الخمس إلى قاعدة واحدة فقط، وجعلها منصبّة على "جلب المصالح".

وتحقيق المصلحة في الفتوى أسس عليه الفقهاء أصولهم وبنوا عليه مذاهبهم، مع تغاير الإطلاق: فنجدها عند الحنفية تُسمّى "الاستحسان"، ويجعلونه طريقاً متفرعاً عن القياس المشروع الذي يستند إلى رعاية المصلحة، ولا سيما إذا تعلق الأمر بموارد البيع والشراء.

ونجدها عند الإمام مالك تحت مُسمّى "المصالح المرسلّة" متأثراً بتعامل الخلفاء الراشدين مع الأمور المستجدة، مما يعني تأثيره بمتغيرات واقع الدولة وأحكامها، وهي عندهم أعم من الاستحسان، ويعدونها مصدرًا مستقلًا تبنى على أساسها الأحكام كالقياس.

وتبعهم على ذلك أصحاب المذهب الحنبلي، حيث جعلوا المصلحة أصلاً في تقرير الأحكام، إلّا أنهم ألحقوها بالقياس، وبهذا تكون الشريعة الإسلامية مُشبعة لحاجات الناس ومستجداتهم في كل عصرٍ ومصرٍ.

بل أفرد العلماء التصانيف وقعدوا القواعد ووضعوا المباحث لترقية ما يسمى بـ"مقاصد الشريعة"،

٦٤ تفسير المنار: ١/ ٢١٣، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٥ الغزالي: المستصفى في أصول الفقه، ط. دار الكتب العلمية، ص ١٧٤.

٦٦ روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، ١/ ٤٧٨، ط. مؤسسة الريان.

فألف الإمام العز بن عبد السلام "القواعد الصغرى" وهي: "الفوائد في اختصار المقاصد"، وبسطها في: "القواعد الكبرى"، وذكر له كتاب باسم: "المصالح والمفاسد".

وكان للعلامة نجم الدين الطوفي الحنبلي عناية فائقة في اعتبار المصالح، وكانت رسالته: "المصلحة المرسلة" محل عناية العلماء بين النقد والاعتبار، إلى غير ذلك من البحوث والمؤلفات.

والمفتي حينما يعتبر المصلحة في الفتوى لا بُدَّ أن يفرق بين ما هو عام يخص الأمة أو المجتمع، وبين ما هو خاص متعلق بمصالح الأفراد الشخصية، فالأفراد وإن كانوا جزءاً من مجموع الأمة وعضواً في كيان المجتمع، إلاَّ أنَّ المفتي يَرُجِح المصلحة العامة ويقدمها على المصلحة الفردية، وكلاهما مراعى ومعتبر، والعلاقة بينهما علاقة الكلي بالجزئي، وانتظام أحدهما إنَّما يكون بانتظام الآخر؛ فصالح الفرد جزء من صلاح الأمة والمجتمع، كما أن صلاح الأمة والمجتمع يشمل صلاح الفرد، فهما متلازمان في الشريعة.

ثالثاً: تغيير الفتوى بناء على مآلاتها:

تختلف أفعال المكلفين وتصرفاتهم باختلاف نتائجها ومآلاتها، واعتبار مآلات الأفعال من قواعد التشريع المتعلقة بالمقاصد والتي تهدف إلى مطابقة الأفعال للغايات التي قصدها الشرع الشريف، فعند تنزيل الحكم على الواقعة المسؤول عنها ينظر إلى المآل والعاقبة التي سيؤول إليها التطبيق، وهو نوع من أنواع الاجتهاد، ومنهج في التعامل مع النوازل والقضايا في شتى المذاهب، ومن ثم فهو الإطار الموضوعي الضامن لسلامة عمل المجتهد في أحكام الشرع.

والمآلات: جمع مآل، وهو مصدر ميمي للفعل (آل)، وأصله (أول) تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، ومعناه الرجوع والعود، مأخوذ من آل إلى كذا: أي صار إليه^(١٧).

وهو أصل شرعي يربط مشروعية الفعل بنتائجه وجوداً وعدمًا وفق مقاصد الشارع لا مقاصد

٦٧ انظر لسان العرب، ١/ ١٧٢.

المكلف^(٦٨).

ويمكن أن نقول: هو الحكم على بعض المقدمات قياساً على عواقبها وما يترتب عليها، أو هو الأثر المترتب على الشيء، أو ما يرجع إليه الشيء في نهاية الأمر.

ومراعاة المآلات في الفتوى: بأن تكون الفتوى موافقة لمقاصد الشريعة^(٦٩) وملائمة لها في الحال والمآل عند إصدار الحكم فيها، "فقد يكون النظر إلى أصل الواقعة يوجب التحريم أو الإباحة أو الوجوب، ولكن اعتبار المقاصد في حال الواقعة أو مآلها يتطلب حكماً آخر؛ نظراً لترتب المفسدة عند الحكم على أصل الواقعة"^(٧٠)، وحينئذ "متى كان الفعل مفضياً إلى مصلحة، أو تحولت مفسدته إلى مصلحة راجحة كان مشروعاً ومطلوباً، ومتى كان الفعل مفضياً إلى مفسدة، أو تحولت مصلحته إلى مفسدة راجحة أو مساوية لمصلحته صار منهيّاً عنه"^(٧١).

والنظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك.

وهو - أي اعتبار المآل - مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة^(٧٢)

٦٨ مآلات الأفعال في المصطلح المقاصدي، للدكتور محمد كمال الدين إمام، ص: ١١، ط. مؤسسة الفرقان.
٦٩ وعلى رأس هذه المقاصد الكليات الخمس والمصالح الضرورية التي تعتبر أصولاً ثابتة للشريعة وأهدافاً عامة لها، وأمرت بحفظها، وهي: "الدين والنفس والعقل والنسل والمال والعرض".

(٧٠) اعتبار المقصد الشرعي في الفتوى آلياته وآثاره، (ص ٦٢٥ - ٦٥٤).

(٧١) اعتبار مآلات الأفعال وأثرها الفقهي، (ص ٥١). وينظر أيضاً: مقاصد الشريعة لابن عاشور، (٣ / ٥١). والاجتهاد في مناهج الحكم الشرعي، (ص ٢٩٤).

٧٢ - الموافقات، للشاطبي: ٥ / ١٧٤، ط. دار ابن عفاًن.

ولذلك ينبغي على المفتي أن يكون عالمًا بمقاصد الأحكام في الشريعة الإسلامية خبيرًا بمآلاتها، وأنها رحمة بالمكلفين ورعاية لمصالحهم بمراتبها الثلاثة: الضروريات، والحاجيات، والتحسينات، ومعرفة ما يناسب المكلف على إثر كل منها.

وهذه النظرية لها دلائل واستشهادات كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الفقهاء، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٠٨]، وقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٩]، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسيدة عائشة: ((لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة))^(٧٣).

٧٣ - رواه الإمام مسلم في "صحيحه" (١٣٣٣) كتاب أشراف الساعة، باب: هدم الكعبة.

المبحث الثالث: فتاوى الذكاء الاصطناعي: إيجابياتها وسلبياتها

المطلب الأول: تطبيقات عملية لبعض فتاوى برامج الذكاء الاصطناعي.

في هذا المطلب نتعرض لبيان بعض النماذج الإفتائية الذي أنتجتها إحدى برامج الذكاء الاصطناعي وهو برنامج (Chat GPT)، فنعرض أولاً السؤال الموجه للبرنامج، ثم الإجابة عليه من البرنامج ثانياً، ثم نقوم بتحليل هذه الإجابة تحليلاً صناعياً ثالثاً، وذلك من خلال النماذج التطبيقية التالية:

أولاً: فتوى الروبوت عن كيفية إزالة النجاسات:

السؤال: كيفية الطهارة من النجاسة؟

وهذا السؤال قد تدرجنا في طلبه من البرنامج خمس مرات، وفي كل مرة نطلب منه مزيد البيان والتوضيح والاستفاضة في الجواب، وقد تقصدنا أن نبتدىء هذه المراحل بسؤال عام يتناول قضية عامة، دون أن نحدد له واقعة عين معينة.

وكانت إجابة برنامج (Chat GPT) الأولى على السؤال كما يلي:

يتم تطهير النجاسة بالماء النظيف الجاري، ويتم تنفيذ ذلك وفقاً للأحكام الشرعية المناسبة للطهارة من النجاسة الخاصة بالشخص أو الأشياء التي تحمل النجاسة. فيما يلي بعض الأمثلة العامة لكيفية التطهير من النجاسة.

- لتطهير الجسم من النجاسة الكبيرة (مثل الجنابة)، يجب على الشخص أن يغتسل بالماء الجاري النظيف ويتأكد من أن كل جزء من جسده قد تعرض للماء. ويمكن للشخص أن يتطهر

من النجاسة الصغيرة (مثل بول الإنسان أو الحيوان) من خلال تنظيف الجسم والملابس المتضررة بالماء الجاري النظيف.

- لتطهير الأواني والأدوات المنزلية من النجاسة، يجب غسلها بالماء الجاري النظيف والصابون ثلاث مرات، مع التأكد من إزالة أي بقايا النجاسة.
- لتطهير الأرض من النجاسة، يجب رش الماء على المكان المتضرر واتركه لفترة من الوقت، ثم يجب تنظيفه بالماء الجاري النظيف والصابون والتأكد من إزالة أي بقايا النجاسة.
- لتطهير الملابس من النجاسة، يجب غسلها بالماء الجاري النظيف والصابون، ثم يمكن استخدام الماء والأسيتون مخلوطة في نفس النسبة، كما يمكن استخدام الماء والكلور مخلوطة في نفس النسبة للملابس البيضاء.

يجب الالتزام بالأحكام الشرعية المناسبة والنظافة الشخصية والبيئية العامة للحفاظ على صحة ونظافة الجسم والمحيط العام.

وحيثما طلبنا منه إجابة مستفيضة كان جوابه:

لتطهر من النجاسة في الإسلام، يمكنك اتباع الخطوات التالية مع الأدلة المرافقة:

١- التوجه إلى مكان نظيف: يجب أن تكون المكان الذي تعتزم فيه إجراء الطهارة نظيفاً وخالياً من النجاسة.

٢- غسل اليدين: قبل البدء في الطهارة، يجب أن تغسل يديك جيداً بالماء والصابون. هذا يشمل غسل الأصابع والمعصمين.

• الدليل: استناداً إلى حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال: **إِذَا تَوَضَّأَ الرَّجُلُ فَعَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ مَعَ مَاءِ آخِرِهِ** (رواه مسلم).

٣- غسل الأعضاء الخارجية: بعد غسل اليدين، يجب أن تغسل الأعضاء الخارجية للجسم بالماء، مثل الوجه والذراعين والقدمين.

• الدليل: ورد في القرآن الكريم في سورة النساء آية ٤٣: **{يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}**، والصلاة تتطلب الطهارة، ومن ضمنها غسل الأعضاء الخارجية.

٤- الوضوء: إذا كنت ترغب في أداء الصلاة، فيجب عليك أن تتوضأ. الوضوء يشمل غسل الوجه والأذنين واليدين والمرفقين ومسح الرأس وغسل القدمين.

• الدليل: ورد في القرآن الكريم في سورة المائدة آية ٦: **{يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}**، وهذه هي آية تعلم المسلمين كيفية الوضوء.

٥- الغسل الكامل (الغسل الجنابة): في حالة وجود الجنابة، أي الاحتلام أو الجماع، يجب عليك أن تغتسل بالكامل. يتضمن الغسل الجنابة غسل الجسم بالماء من الرأس إلى القدمين.

• الدليل: ورد في القرآن الكريم في سورة البقرة آية ٢٢٢: {وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}، وهذه الآية توجه المسلمين للطهارة قبل الاقتراب من الزوجة.

• يجب الإشارة إلى أنه قد توجد أحكام إضافية للطهارة بناءً على الظروف الخاصة، مثل النجاسة الحيوانية أو الاستحاضة. في مثل هذه الحالات، ينبغي استشارة مشايخ أو علماء دين موثوق بهم لتوجيهك بشأن الطهارة المطلوبة.

• يجب الإشارة أيضًا إلى أن هذه التعليمات تعتمد على الأحكام الشرعية في الإسلام ولا تعتبر نصائحًا طبية؛ لذا إذا كنت بحاجة إلى نصيحة طبية أو صحية محددة، فمن الأفضل أن تستشير ممارسًا صحيًا أو طبيبًا للحصول على توجيه ملائم.

وحيثما طلبنا منه إجابة مستفيضة مرة أخرى كان جوابه:

الإجراءات التفصيلية للطهارة:

• الوضوء (الطهارة الصغرى):

- ابدأ بنية الوضوء في قلبك بالقول: "نَوَيْتُ الْوُضُوءَ لِرَفْعِ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ".
- اغسل يديك ثلاث مرات، مع التأكد من تغسيل الأصابع والمعصمين.
- اشطف فمك ثلاث مرات واغسل أنفك ثلاث مرات.
- اغسل وجهك مرة واحدة من الحافة العلوية للجهة إلى الحافة السفلية للذقن، ومن الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى.
- اغسل ذراعيك إلى المرفقين، اليمنى ثم اليسرى.
- مسح رأسك مرة واحدة بيديك المبلولتين.
- اغسل قدميك إلى الكعبين، اليمنى ثم اليسرى.

• الغسل الجنابة (الطهارة الكبرى):

- اعتنق النية في قلبك للغسل الجنابة قائلاً: "نَوَيْتُ الْغُسْلَ لِرَفْعِ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ".
- ابدأ بغسل جسمك بالكامل بالماء، مع التأكيد على تنظيف الأجزاء النجسة بعناية.
- بعد ذلك أعد الوضوء كما هو مذكور أعلاه.

• من الأدلة الشرعية:

- قول الله تعالى في القرآن الكريم في سورة البقرة آية ٢٢٢: **وَإِذَا تَطَهَّرْتُمْ فَاطْهَرُوا**، وهذا يشير إلى أهمية التطهر والطهارة.
- حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يوضح أحكام الوضوء والغسل.

- يجب الإشارة إلى أن هذه الإجراءات هي الطريقة العامة للطهارة، وقد تكون هناك بعض الأحكام الخاصة بحسب الحالات المحددة، مثل النجاسة الحيوانية أو الحيض. في مثل هذه الحالات، يفضل استشارة مشايخ أو علماء دين موثوق بهم للحصول على توجيهات دقيقة.

• يرجى ملاحظة أنني لست مرجعاً شرعياً، ولذلك ينصح بالرجوع إلى العلماء والمراجع الشرعية للحصول على فتاوى وتوجيهات دقيقة بناءً على الأحكام الشرعية المعتمدة.

وحيثما أخبرناه بعدم الفهم وطلبنا منه توضيح الإجابة كان جوابه:

بالطبع! إليك شرحاً مفصلاً لكيفية التطهر من النجاسة في الإسلام:

• الوضوء (الطهارة الصغرى):

- ابدأ بنية الوضوء في قلبك بقول: "نَوَيْتُ الْوُضُوءَ لِرَفْعِ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ"، وهذه هي النية التي تعبر عن النية الداخلية لأداء الوضوء.

- ابدأ بغسل يديك ثلاث مرات، مع التأكد من غسل الأصابع والمعصمين في كل مرة.

- ثم اشطف فمك ثلاث مرات واغسل أنفك ثلاث مرات، استخدم الماء لشطف الفم واستخدم الماء للنظافة والاستنشاق لتنظيف الأنف.

- بعد ذلك، اغسل وجهك مرة واحدة، ابدأ من الحافة العلوية للجبهة إلى الحافة السفلية للذقن، ومن الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى.

- ثم اغسل ذراعيك إلى المرفقين، اليمنى ثم اليسرى، تأكد من تغسيل كل جزء من الذراعين.

- بعد ذلك، قم بمسح رأسك مرة واحدة، استخدم راحة يديك المبلولتين لتمريرها على رأسك من الجبهة إلى الناحية الخلفية.

- وأخيراً، اغسل قدميك إلى الكعبين، اليمنى ثم اليسرى، تأكد من تغسيل كل جزء من القدمين.

• الغسل الجنابة (الطهارة الكبرى):

- للغسل من الجنابة، يبدأ بالنية في قلبك بالقول "نَوَيْتُ الْغُسْلَ لِرَفْعِ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ"، وهذه النية تعبر عن نية الطهارة الكبرى.

- اغسل جسمك بالكامل بالماء، تأكد من تنظيف جميع أجزاء الجسم التي تحتاج إلى التطهير.
- بعد الغسل الكامل، قم بأداء الوضوء مرة أخرى كما هو مذكور أعلاه.

• الدليل الشرعي:

• .. يشير القرآن الكريم في سورة البقرة آية ٢٢٢ إلى أهمية التطهر والطهارة وضرورة الاقتراب من الله بحالة طاهرة.

• - هناك أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي توضح أحكام الوضوء والغسل وتعليماته في هذا الصدد.

• من الجدير بالذكر أن هذه الإجراءات تعتبر الطريقة العامة للطهارة، وقد يوجد بعض الأحكام الخاصة والاستثناءات وفقاً للحالات الخاصة مثل النجاسة الحيوانية أو الحيض. في مثل هذه الحالات يفضل استشارة مشايخ أو علماء دين موثوق بهم للحصول على توجيهات أكثر تحديداً.

- يرجى ملاحظة أنني لست مرجعاً شرعياً، ولذلك ينصح بالرجوع إلى العلماء والمراجع الشرعية للحصول على فتاوى وتوجيهات دقيقة بناءً على الأحكام الشرعية المعتمدة.

وحيثما طلبنا منه التوضيح أكثر من ذلك، كان جوابه:

بالطبع! سأوضح الإجراءات بشكل أكثر تفصيلاً للوضوء والغسل:

- الوضوء (الطهارة الصغرى):

- قبل البدء بالوضوء، أوجد نية صادقة في قلبك لأداء الوضوء وتحقيق الطهارة. يكفي أن تقول في قلبك: "نَوَيْتُ الْوُضُوءَ لِرَفْعِ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ".

- ابدأ بغسل يديك ثلاث مرات، مع التأكد من تغسيل الأصابع والمعصمين في كل مرة.

- اشطف فمك ثلاث مرات، واستخدم إصبعك لتنظيف الأسنان إذا كنت تحتاج.

- اغسل أنفك ثلاث مرات، اغسله بالماء واستنشق الماء لتنظيف الأنف.

- اغسل وجهك بالكامل مرة واحدة، ابتداءً من الجبهة وصولاً إلى الذقن، ومن الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى.

- اغسل ذراعيك بالكامل، من أطراف الأصابع وصولاً إلى المرفقين، اليمنى ثم اليسرى.

- قم بمسح رأسك بالماء، ابتداءً من الجبهة وصولاً إلى الناحية الخلفية من الرأس.

- اغسل قدميك بالكامل، من الأصابع وصولاً إلى الكعبين، اليمنى ثم اليسرى.

الغسل الجنابة (الطهارة الكبرى):

- للغسل من الجنابة، أولاً قم بنية الطهارة في قلبك بالقول: "نَوَيْتُ الْغُسْلَ لِرَفْعِ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ".

- ابدأ بغسل جسمك بالكامل بالماء، تأكد من تنظيف جميع أجزاء الجسم التي تحتاج إلى التطهير من النجاسة.

- بعد ذلك قم بأداء الوضوء كما ذكرته في الخطوة الأولى.

• أحكام إضافية:

- يجب أن يكون الماء نقيًا وطاهرًا للوضوء والغسل.
- يتم تنفيذ كل إجراء ثلاث مرات ما لم يذكر خلاف ذلك.
- يجب أن يتم الالتزام بالترتيب المذكور في الإجراءات.

- يرجى ملاحظة أنه يمكن أن تكون هناك بعض الاستثناءات والأحكام الخاصة وفقًا للحالات المحددة، مثل النجاسة الحيوانية أو الحيض. في مثل هذه الحالات يفضل استشارة علماء الشرع للحصول على توجيهات محددة.
- أتمنى أن يكون هذا التوضيح مفيدًا لك! إذا كانت لديك أي أسئلة إضافية، فلا تتردد في طرحها.

تحليل الفتوى بنماذجها:

بعد الفحص والدراسة والنظر في هذه الإجابات: تبين الآتي:

أولاً: غرق البرنامج في الإجابة غرقاً شديداً، ودارت عباراته حول كل ما يتعلق بالنجاسة والتطهير منها، ماراً على مجرد غسل اليدين، ثم الوضوء، ثم الاغتسال.. وهكذا.

ثانياً: كان يكفيه - لو عنده القدرة على ذلك - أن يسأل السائل: ماذا تريد من هذا السؤال والبحث؟ وهل هذه النجاسة محققة أم مشكوك فيها؟

لأنه تتعلق به إجابات كثيرة ومتنوعة، فيبدأ بتحديد السؤال، ثم يتصوره تصويراً صحيحاً، ثم يجيب عليه، وهذا ألفباء إفتاء.

ثالثاً: بالرغم من المطالبة المتكررة من البرنامج لتوضيح السؤال، إلا أنه في كل مرة يعطي نفس الإجابة ولكن بطريقة مختلفة، لكن لو حللنا كلمات الإجابة في كل مرة نجددها نفس الكلمات المتعلقة بالتنظيف والاعتسال.. وما إلى ذلك.

رابعاً: نجده في هذه الأجوبة يستخدم مصطلحات خاصة بعيدة عن البيئة الفقهية، ويعبر بتعبيرات

غير قياسية من جهة، وغير متعارف عليها شرعاً من جهة أخرى، فليس هناك ما يسمى بالنجاسة الكبيرة، بل هناك نجاسة مغلظة ومخففة ومتوسطة عند فقهاء الشافعية والحنابلة.

ويقسمها الأئمة الثلاثة مالك وأحمد والشافعي إلى عينية وحكمية، فمن أين أتى البرنامج بمصطلح النجاسة الكبيرة؟!

وعلى فرض كون النجاسة الكبيرة هي المغلظة: فكان لزاماً عليه أن يوضح على أي مذهب أدرجها في المغلظة؟ نعم هي عند المالكية كذلك، إلا أنها عند الشافعية والحنابلة من النجاسة المتوسطة^(٧٤).

وكذلك الأمر بالنسبة لمصطلح التنظيف، فهلا استعمل المصطلح الجاري على السنة الفقهاء بدلا من إحداث مصطلح جديد يشتمل المستفتي!! ومن أين أتى به؟ وهل له سند في ذلك؟ أمرٌ يحتاج للتوضيح.

وعلى فرض استعمال هذا المصطلح ووجوده في الفقه الإسلامي: فما هو المراد بالتنظيف؟ هل المطلق غير المكروه أو المكروه أو المختلط أو المستعمل أو النجس؟

وهل كل تنظيف يكون رافعاً للحدث أم مزيلاً للنجس؟

فالمستعمل عند المالكية يجوز استعماله مع الكراهة.

وعند الشافعية والحنابلة لا يجوز.

وعند الحنفية نقل عن بعض آراء المذاهب أنه نجس أصلاً.

فهل بين لنا البرنامج ما هو مدرکه من المذاهب في استعماله هذا المصطلح؟

وكذلك التعبير بمصطلح النجاسة الصغيرة، هل أراد بالنجاسة الصغيرة المخففة؟ لو أراد ذلك

(٧٤) ينظر في مباحث النجاسات: بدائع الصنائع ١/ ٨٠، والمدونة الكبرى ١/ ١٩، ٢٠، ٢١، وحاشية الجمل على شرح

المنهج ١/ ١٦٨-١٨٣-٤٢٥، وقيوبي ١/ ٦٩-١٨٥، والإنصاف للهرداوي ١/ ٣١٠.

سلمنا له، لكنه ذكر مثالها بول الآدمي وبول الحيوان، ولا نسلم بذلك له في بول الحيوان؛ لأنه مختلف فيه، فهل أوضح لنا على أي مذهب ينطلق في فتواه.

وأيضاً كلمة الماء النظيف في الملابس: لم يبين المراد منها أيضاً، هل هي نفس المستعملة في إزالة الخبث ورفع الحدث أم غيرها؟

لو كانت نفس المستعملة في رفع الحدث وإزالة الخبث: هل كل ماء نظيف يزيل الحدث بجريانه؟ فمن الممكن أن يكون شاكاً في موضعها فيكفيه النضح عند فقهاء المالكية.

كما اشترط البرنامج في جوابه عن غسل الأواني، اشترط استعمال الصابون، مع أن جمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة نصوا في كتبهم على عدم اشتراطه.

وكذلك اشترط الغسل ثلاثاً يحدث تضارباً في الفتوى؛ لأن اشترط الثلاث على مذهب الشافعية وعند الحنابلة سبعة وعند المالكية تكفي واحدة.

فكيف يتسنى الاستفادة للمستفتي؟!؟

ثانياً: فتوى الذكاء الاصطناعي عن الاستنجاء بالمناديل الورقية.

السؤال: ما حكم الاستنجاء بالمناديل الورقية؟

وجاءت إجابة برنامج (Chat GPT) على السؤال كما يلي:

يعتبر الاستنجاء بالمناديل الورقية جائزاً في الإسلام، على أن يتم التأكد من نظافة المنديل وأنه خالٍ من أي مواد ضارة بالصحة.

ويتم الأخذ بالحاجة في استخدام المناديل الورقية في حال عدم توفر الماء أو صعوبة الوصول إليه، ويجب على المسلم التأكد من تنظيف المنطقة التي تم الاستنجاء بها بشكل كامل وفعال لضمان الطهارة الشرعية.

ومع ذلك، فإن الأفضل والأصح في العادة هو استخدام الماء في الاستنجاء، لأنه يعد الطريقة الأكثر نظافة وتطهيراً للجسم، ويحذر الأطباء من استخدام المناديل الورقية بكثرة؛ لأنها قد تسبب تهيجاً في المنطقة وتسبب الحكة والتهابات؛ لذا يفضل استخدام المناديل الورقية في حالات الضرورة فقط، والعودة إلى استخدام الماء والصابون في الأوقات العادية.

تحليل الفتوى:

أولاً: لم يذكر البرنامج ما هي المناديل الورقية؟ وما هي أنواعها؟ وما هو الصالح منها في عملية الاستنجاء؟

ثانياً: قوله "استخدام الماء والصابون" هذا هو من زيادة النظافة للمحل، لا علاقة له بالحكم الشرعي وإنما يكفي الماء فقط، بل قد لا يكفي إلا الماء لأنه لو اختلط الماء بالصابون يتغير الماء ولا يصح الاستنجاء به.

والاستنجاء بالمناديل الورقية أمر جائز ما دامت طاهرة جامدة وقالعة للنجاسة، ولكن لا يصح استخدام المناديل المبللة؛ لما قد تسببه من نقل النجاسة حول المحل وخارجه، ولم يفصل البرنامج في الفتوى أي نوعي المناديل أراد.

ثالثاً: فتوى الذكاء الاصطناعي عن نزول قطرات بول بعد الوضوء:

السؤال: أشك في خروج البول بعد الطهارة، فما الحكم؟

وجاءت إجابة برنامج (Chat GPT) على السؤال كما يلي:

إذا كنت تشك في خروج البول بعد الطهارة، فالأفضل هو الاستمرار في أداء العبادات والصلوات بدون الاعتناء بهذا الشك. فإذا كان هناك خروج للبول أو غيره من المواد النجسة بعد الطهارة، ولم يكن هناك أي دليل يؤكد ذلك، فإنك لا تحتاج إلى إعادة الطهارة والوضوء.

ومع ذلك، إذا كان الشك قويًا جدًا، وتشعر بأن هناك خروج للبول بعد الطهارة، فيمكنك القيام بالآتي:

- التأكد من النظافة: تأكد من أن المنطقة نظيفة وجافة بعد استخدام الحمام، ويفضل استخدام منديل مبلل لتنظيف المنطقة بدلاً من الورق الجاف.
- العناية بالوضوء: تأكد من القيام بالوضوء بطريقة صحيحة وشاملة، والتأكد من غسل المناطق التي تشك فيها بدقة.
- الاهتمام بالصلاة: قم بأداء الصلاة في أوقاتها وبطريقة صحيحة ولا تعتمد على الشك في الخروج لتأجيل الصلاة.
- استشارة الطبيب: إذا كان الشك يستمر لفترة طويلة وتشعر بأي أعراض غير طبيعية، فمن المستحسن استشارة الطبيب لتحديد ما إذا كان هناك أي مشكلة صحية تستدعي العلاج.

ويجب عليك أيضًا الحفاظ على النظافة والاهتمام بالطهارة، حتى لا تشعر بالشك أو القلق بشأن النجاسة، ولا تضيع وقتك في القلق والشك بدلاً من التفرغ للعبادة والتقرب إلى الله.

تحليل الفتوى:

أولاً: أغلب هذه الحالات تنبني على مجرد شعور ولا حقيقة له ولا أثر، بل هو عادة ما يكون وسوسة من الشيطان ليفسد على المكلف طهارته ويبعده عن عباداته.

وهذا المعنى الأساسي لم تتعرض له الإجابة، ولذلك فهي مختلفة عن سابقتها في عرضها وردّها. ثانياً: وجدنا أن البرنامج يحض السائل في هذه الفتوى على أنه إن شك في الطهارة أن يتأكد، وهذا تناقض بين دور منطقي، كيف إنه يشك في الطهارة ثم يتطلب أن يتأكد منها!! فكيف يتأتى اليقين والشك في آنٍ واحدٍ؟! والشك في آنٍ واحدٍ؟! والشك في آنٍ واحدٍ؟!

كما أن هذا يتطلب أيضاً البحث والتفتيش والإغراق في تتبع مواضع النجاسة، مع أن هذا الأمر مما ينافي القواعد الفقهية الواردة، بل ينافي ما جاء به الشرع الشريف من اتقاء الوسوس والتكلف الزائد المولد للشك والمؤدي لعدم استقرار العبادة، وقد تقرر أن الأصل بقاء الطهارة وبقاء ما كان على ما كان.

وقد نص الفقهاء كثيراً على أن المكلف إذا تيقن الطهارة وشك في الحدث فإنه باق على طهارته. ولا يجوز بحال من الأحوال حض المستفتي على التفتيش والبحث وراء محل الشك؛ لأنه يورث الوسوس التي تسبب خبلاً في العقل أو نقصاً في الدين.

المطلب الثاني: إيجابيات فتاوى الذكاء الاصطناعي وسلباتها

أولاً: الجوانب الإيجابية في فتاوى الروبوتات.

اشتمل هذا البرنامج الرقمي من حيث الإجابات الفقهية والأسئلة الإفتائية على عدد من المزايا الإيجابية، والتي يمكن أن نجملها في أربع نقاط:

- (١) أنه يعطي إجابات سريعة: فبمجرد أن يدخل السائل سؤاله للبرنامج، يعطيه الإجابة.
- (٢) أنه لا يخرج عما سطره العلماء في كتبهم (من الكتب الفقهية والمراجع الإسلامية): فهو دائر في فلك الكتب والمراجع التي أدخلت له بالصيغ الرياضية...
- (٣) قدرته على التحمل وخروجه عن دائرة الضجر والغضب إذا ألح عليه السائل بنفس الطلب مثلاً: يمكن لهذا البرنامج - لكونه آلة من الآلات - أن يعطي السائل ما شاء من الإجابات، سواء تعلق ذلك بسؤالٍ واحدٍ أم بأسئلة متعددة، وأنه يستفيض في الإجابة إذا ما طلب السائل منه ذلك، دون مللٍ أو ضجرٍ أو نوعٍ من أنواع الغضب التي قد تعتري الإنسان إذا قام بهذه المهمة الصعبة.
- (٤) أنه يرفع الحرج عن فئة معينة من الناس: فيستطيع البرنامج أن يكون ملجأ لكل من يتحرج أن يعرض بعض الأسئلة الخاصة على شيخ بشري، بينما هو مع هذا البرنامج يتعامل بكل الأريحية في إعطاء أي نوع من الإجابات، أيًا كان نوعها ومجالها.

ثانياً: الجوانب السلبية في فتاوى الروبوتات.

يؤخذ على هذا البرنامج من خلال تعامله مع المسائل الإفتائية، ما يلي:

- (١) التهاون بمهنة الإفتاء والتجاسر على القائمين بها:

فمما تقرر في علوم المسلمين: أن الإفتاء صنعة^(٧٥)، لا يقوم بها إلا من توفرت فيه شروط التأهيل الإفتائي، وأن أمر الفتوى أمرٌ عظيم الخطر، جليل الأثر؛ لأن الإفتاء هو بيان أحكام الله تعالى وتطبيقها على أفعال العباد، والمفتي يُعدُّ وارثاً لمهمة نبيلة من مهمات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، المبلِّغين عن رب العالمين؛ فهو موقَّعٌ عن الله تعالى، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يُجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيّات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات^(٧٦)؟ ذلك أن الذي يفتي الناس على الحقيقة إنّما هو الله عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ} [النساء: ١٢٧]، وقال سبحانه: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} [النساء: ١٧٦].

والحقيقة التي ينبغي بيانها في هذا الشأن: أن الفتوى لم تساعد على ضبط السلوك البشري وتنظيمه فحسب؛ بل استطاعت من خلال المفتين المُجيدين والمُجددين أن تُدخلَ التصرف الإنساني بكل صورته في المجال الفقهي، ومن هنا كانت الفتوى والمفتي بمثابة همزة الوصل بين المعاملات الدنيوية والتنظيم المتعلق بها.

يقول المستشرق الألماني جوزيف شاخت: "فإنَّ الفضل في التطور المذهبي للقانون الإسلامي يرجع إلى حدٍّ بعيدٍ إلى أنشطة المفتين"^(٧٧).

وأنشطة المفتين ومناهجهم الإفتائية المنضبطة تُعدُّ صورةً منطقيةً واضحةً لما حدث من تطور لمفهوم الإفتاء عبر العصور، فيعطيه آليةً تجعله أكثر مواءمة وارتباطاً بالواقع وضبط مشكلاته، ويستطيع المفتي من خلاله أن يُعيد النظر فيما تركه السابقون من آراءٍ فقهية، ثم يبيِّن فتاواه وفقاً لظروف عصره

(٧٥) المعيار المُعرب للونشريسي، ١٠ / ٧٩، ط. وزارة الأوقاف المغربية.

(٧٦) أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح ص: ٧٢، ط. مكتبة العلوم والحكم، والمجموع للنووي ١ / ٧٢، ط. المنيرية،

وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ١ / ٩، ط. دار الكتب العلمية.

(٧٧) جاكوب سكو فجاردي، إسلام الدولة المصرية، مفتو وفتاوى دار الإفتاء المصرية، ص: ٢٥، ط. نهوض.

ومتغيراته، وما استُجِدَّ من الوقائع والنوازل.

فالمفتي إنما جاء ليُطِيب للناس حياتهم كما أَرادها الله تعالى؛ قال تعالى: {فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]. وقال سبحانه: {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام: ١٢٢].

(٢) الخلط بين الأقوال الفقهية وبين القضايا الإفتائية:

اشترط العلماء فيمن يتصدى للعملية الإفتائية: أن يفرق بين ما هو حكم فقهي مسطور في كتب الأئمة، وبين صناعة الفتوى والتي تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، وتحقق مقصود الشريعة، وتراعي مصالح الخلق، ووفقاً للأعراف والبيئات.

فالفقيه: يستنبط الأحكام الفقهية من الأدلة التفصيلية، وهي إنما تحقق مقاصد الشريعة الكلية.

أما المفتي: فهو يدرس الواقع ثم يلتفت إلى الفقه ليأخذ منه حكم الله تعالى في مثل هذه الواقعة بما يحقق مقاصد الشريعة ويلتزم هذا الواقع.

فالفتوى تزيد عن الحكم الفقهي بما يتعلق بكيفية إنزال هذا الحكم أو الاستفادة منه في واقعة من الوقائع قد لا تشمل غيرها، فيراعى في الفتوى من القواعد الشرعية والمصالح المرعية ما لا يراعى في الحكم الفقهي العام.

ولذلك راعى العلماء المسائل الخلافية بين المذاهب الفقهية، وذلك من جهات متعددة؛ فأداروا الأقوال الخلافية بين الرخص والعزائم، وأجازوا العمل بقول من أباح تخلصاً من الإثم، ونصوا على مشروعية طلب الأيسر والفتوى به، وجعلوا من قواعدهم الإمساك عن الإنكار على المخالف وحرّموا تفسيقه، ونصوا على وجوب تصحيح تصرفات المكلفين وحملها على الصحة ما دام أن لها وجهًا صحيحًا في مذهب معتبر، ونصوا على أن للمفتي أن يحيل المستفتي إلى مفتٍ غيره ما دام يرى أن

مذهب المحال عليه أصلح له.

كما أن هناك فارقاً بين تحرير المعتمد في منقول المذاهب وتحديد ما عليه العمل والفتوى التي تعتمد على تغير الأعراف والأحوال والزمان والمكان، وتستند إلى القواعد الفقهية التي تنظم التعامل مع الأقوال والمذاهب المختلفة؛ كقاعدة: لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المتفق عليه.

وليس معنى هذا أن اختلاف الأحكام لاختلاف الأحوال والعوائد هو اختلاف في خطاب الشرع الشريف، بل إن الحكم المستجد الذي ناسب الوقائع المستجدة هو في ذاته يرجع إلى أصل شرعي يحكمه، أو قاعدة كلية تضبطه.

وقد سأل أبو حيان التوحيدي مسكويه عن علة اختلاف الفتوى بين الفقهاء فقال: "إن بعض الأحكام يتغير بحسب الزمان وبحسب العادة وعلى قدر مصالح الناس؛ لأن الأحكام موضوعة على العدل الوضعي، وربما كانت المصلحة اليوم في شيء وغداً في شيء آخر، وكانت لزيد مصلحة ولعمر مفسدة"^(٧٨).

وتغير الأحكام والفتاوى لتغير الجهات الأربع هو في الأصل منهج إفتائي نبوي متبع، أجراه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، فكان السائل يأتيه فيسأله عن أمر فيفتيه صلى الله عليه وسلم بما يناسب حاله، ثم يأتي إليه سائل آخر فيسأله نفس السؤال؛ فيفتيه صلى الله عليه وسلم بفتوى أخرى غير ما أفتى به الأول.. وهكذا.

بل إن العلماء أخذوا يفرقون بين الأحكام التي تصرف فيها النبي صلى الله عليه وسلم بناء على اعتبار الصفة التي يتصرف بها: فتارة يتصرف صلى الله عليه وسلم باعتباره قاضياً؛ لأنه القاضي الأحكم، وأخرى يتصرف باعتباره مفتياً؛ لأنه المفتي الأعلم، وثالثة باعتباره إماماً للمسلمين؛ لأنه الإمام

(٧٨) الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي، ص: ٣٧١، ط. دار الكتب العلمية.

الأعظم^(٧٩).

وبذلك يتخذ المفتي منهجًا وسطيًا في ممارسة الفتوى، يُراعى فيه مقاصد الشرع مراعاة دقيقة، وتحيا به قيم الإفتاء في المجتمع بكفاءة وجودة عالية، لتكوّن بذلك مرجعية دينية يلجأ إليها ويستعان بها في استقرار الأمة ونهوض المجتمع.

(٣) عدم مراعاة واقع المستفتين:

مراعاة الواقع من أهم ما يقوم به المفتي في ممارسته للعملية الإفتائية؛ لأن الفتوى إخبار عن حكم الله تعالى في الحوادث والأقضية والوقائع، فكان لا بد للمفتي أن يكون بصيرًا بزمانه وأحواله، عملاً بقول وهب بن منبه: "أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ"^(٨٠)؛ فلا بد للمفتي في الوقائع من ضرب اجتهادٍ ومعرفة بأحوال الناس^(٨١).

وقد نصّ العلماء كثيرًا في كتبهم على أنّ الأحكام تتغير بتغير الجهات الأربع: الزمان، والمكان، والأحوال، والأشخاص^(٨٢)، وذلك تحت مظلة المقاصد الشرعية، وقد ذكرنا ذلك في الفصل السابق. يقول الإمام الزركشي: "نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه قال: يحدث للناس في كل زمان من الأحكام ما يناسبهم"^(٨٣).

(٧٩) الذخيرة للإمام القرافي: ٣ / ٢٥٠، ط. دار الكتب العلمية.

(٨٠) رواه البيهقي في "شعب الإيمان".

(٨١) فتح القدير للكمال بن الهمام، ٢ / ٣٣٤، ط. دار الفكر، بدون.

(٨٢) إعلام الموقعين لابن القيم، ٣ / ١١، ط. دار الكتب العلمية، وصناعة الإفتاء ص: ٤١، والمراد بالأحكام هنا: الأحكام المبنية على الأعراف والعادات، والأحكام الاجتهادية التي استنبطت بدليل القياس أو المصالح المرسلّة أو الاستحسان أو غيرها من الأدلة الفرعية، وإنما نسب التغيير لتغير الزمان في كلام بعض أهل العلم؛ لأن الزمان هو الوعاء الذي تجري فيه الأحداث والأفعال والأحوال، وهو الذي يتغير فيه العوائد والأعراف، فنسبة تغير الفتوى لتغير الزمان من هذا الباب، وإلا لو ظل العرف كما هو عدة قرون لم يستطع أحد أن يغير الفتوى.

(٨٣) البحر المحيط، للزركشي، ١ / ٢٢٠، ط. دار الكتبي.

(٤) نشر الأمية الفكرية والدينية:

مما يسببه هذا البرنامج من تخوفات: أنه ومع الوقت يتسبب في نشر الأمية الفكرية، وذلك بالاعتماد الكلي على البرنامج الذي يمنح كل المعلومات في أوقات قليلة، فهو وإن قصد سهولة الحصول على الفتوى الشرعية، إلا أنه ابتذلها، وبطريقة معلوماتية تسبب ركوضاً بحثياً ومعرفياً لما قد يتعرض له الإنسان من قضايا حياتية، ونحن لو نظرنا إلى قول الله تعالى: { فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣]، مع مراد الشرع الشريف من الإنسان أن يعبد الله تعالى على علم ومعرفة، وأنه مناط خيرية العبد؛ كما دل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))، لوجدنا أن الإنسان مطالب بدفع الجهالة عنه، ومعرفة حكم الله تعالى في كل ما ألم به من حوادث أو مشكلات.

حرفية الإجابة: يرتبط البرنامج باللغة البرمجية الحرفية، والتي تعطي النتائج على قدر المعادلة التركيبية لألفاظ السؤال ومصطلحاته.

(٥) إنتاج العلوم الإفتائية السطحية:

حيث تعتمد علوم هذا البرنامج على النتائج الأولية، بخلاف المناهج الإفتائية المعتمدة التي تحمل المعلومات الدقيقة والرصينة.

(٦) الانفصال الفكري والروحي:

وهذا عنصر في غاية الأهمية إن لم يكن أهمها في العملية الإفتائية، وهو التفاعل الحي والمباشر بين المفتي والمستفتي، وهذا التفاعل يستطيع المفتي من خلاله أن يولد عدداً من الأسئلة التحقيقية التي تكشف له عن حال المستفتي بكل أبعاده، فيستطيع أن يعطيه الفتوى الملائمة له، شأنه في ذلك شأن الطبيب الذي يأتيه المريض؛ فهو يكشف عن العضو المريض أولاً، ثم من خلال الحوار الذي ينشئه الطبيب مع المريض يستطيع أن يعطيه العلاج المناسب لمرضه من جهة، وبما يلائم طبيعة جسمه

الكيميائية؛ بحيث لا يسبب له المضاعفات والأعراض الجانبية من جهة أخرى، وبما يكشف عمّا لو كان يشتكي من أمراض مصاحبة أو قديمة من جهة ثالثة.

وكذلك المفتي حكمه حكم الطبيب، ينظر في الواقعة ويذكر فيها ما يليق بها بحسب مقتضى حالها وزمانها، وبما يلائم طبيعة السائل عنها، فالمفتي طيب الأديان، وذلك طيب الأبدان^(٨٤).

(٧) سهولة تعرض الفتاوى لعمليات الاختراق والاحتيال الآلي:

وهذه من أخطر جوانب البرنامج السلبية، حيث يمكن استغلال هذه البرامج من قبل التيارات المتطرفة والتنظيمات الإرهابية في إزاحة الفتاوى المعتدلة، التي يمكن أن يوجه فيها المفتي المستفتي إلى ما فيه صلاح حاله وأسرته ومجتمعه ووطنه، ثم تعرض مكانها الآراء والفتاوى الشاذة التي تخدم أغراضها السياسية وتساعد في تجنيد الشباب لها، فتسري هذه الفتاوى المتطرفة إلى بيوتات المسلمين ومجتمعاتهم.

(٨٤) الإمام جلال الدين السيوطي: الحاوي للفتاوي، ١ / ٣٩٢، ط. دار الفكر.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه من خلال هذا البحث، يمكن أن نستخلص عددًا من النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- (١) لا يمكن لبرامج الذكاء الاصطناعي أن تتصور مسألة المستفتي تصوير مستوفياً.
- (٢) أن أهم ما يفرق المفتي الطبيعي عن مفتي الذكاء الاصطناعي هي العلاقة التفاعلية التي تنشأ بين المفتي والمستفتي، والتي يشترك فيها المفتي مع المستفتي في تصوير المسألة، ومعرفة أحوال المستفتي وظروفه وواقعه المحيط به، وهذا قد لا يتوفر في المفتي الروبوت أو الإفتاء بالذكاء الاصطناعي.
- (٣) ليس عند المفتي الروبوت من الآليات ما يستطيع أن يوجد حلولاً للمستفتين ويوجههم.
- (٤) أن المفتي الروبوت لا يمكنه التعامل مع المسائل النوعية الخاصة بأحوال المستفتين، والتي تحتاج إلى تحقيق ممتد؛ كفتاوى الطلاق والرضاع وما إلى ذلك.
- (٥) أن الفتوى تتغير بتغير الجهات الأربع، فليست قوالب ثابتة، تناسب ظروف وأحوال كل المتعاملين مع هذه البرامج.
- (٦) أن مجال الفتوى يختلف عن مجال البحث الفقهي، حيث تتطلب إماماً واسعاً وربطاً للمسائل الفقهية بالوقائع الحياتية.
- (٧) أن الفتوى تتطلب معارف وعلومًا خاصّة، تقوم على التحليل والربط، ومن هنا قالوا بأن الإفتاء صناعة، تحتاج إلى مهارة ودربة.
- (٨) لا يستطيع المفتي الروبوت أن يقف على أطراف المسألة عند حصول نزاع، ومن ثم فقد يحكم بحق لمن ليس له حق، والعكس أيضًا.
- (٩) هناك جملة من الجوانب الإيجابية تتوافر في فتاوى برامج الذكاء الاصطناعي، ولكن لكي

يتم الاستفادة منها، لا بد أن يتعامل معها المتخصصون في الشأن الإفتائي، ومن ثم فإن هذه البرامج يمكن أن يعتمد عليها المفتي كأداة حديثة ومتطورة من أدوات البحث، يمكنها أن توفر له الوقت والجهد.

ثانياً: التوصيات:

(١) دعم مثل هذه المؤتمرات المعنية بالتقدم التكنولوجي، للوصول إلى بحوث ومعالجات آنية يمكنها أن تتعامل مع هذه التقنيات.

(٢) يمكن تطوير عمل الروبوت المفتي والاستفادة منه في بعض جوانب الفتوى، خاصة الفتاوى ذات القوالب الثابتة؛ كفتاوى الإجهاض، ونحوها.

(٣) يمكن عمل روبوت خاص يمكنه عمل الحساب الشرعي لمسائل المواريث، وحساب الديات، وحساب الزكوات، ولكن دون أن يستقل بها استقلالاً تاماً، فلا بد أن يكون تحت نظر المفتي الطبيعي، شأنه في ذلك شأن الطبيب الروبوت.

ثم في الختام: نُثَمِّنُ هذه الجهود الرائدة التي تقوم بها دار الإفتاء المصرية - حفظها الله تعالى وصابرها - في تنظيم هذه المؤتمرات النافعة والهادفة، وما تقوم عليه من المشاركات الفاعلة في جلساتها، ونأمل من المولى القدير أن يكمل هذه الجهود بالنجاح والفلاح حتى تُؤتي ثمارها بإذن ربه.. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

